Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 7, 2026, 9590

Deanship of Scientific Research

The Image of the Friend in Sa'alik Poetry from the Pre-Islamic Era to the End of the Umayyad Era

Shams Aleslam Ahmad Halou*

Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Humanities, Alqasimia University, Sharjah, United Arab Emirates.

Received: 4/11/2024
Revised: 4/12/2024
Accepted: 27/1/2025
Published online: 1/2/2026

* *Corresponding author:*
chalou@alqasimia.ac.ae

Citation: Halou, . S. A. A. (2026). Friend, Image, Pre-Islamic poetry, Saalik, Umayyad poetry. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *53*(7), 9590.
https://doi.org/10.35516/Hum.2026.9590

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research aims to study and analyze the image of a friend in Saalik poetry from pre-Islamic era to the end of the Umayyad period, highlighting the unique perspective these poets held on friendship, characterized by independence in a particular doctrine of thought and lifestyle.

Methods: The research relied on the descriptive analytical approach, the investigative approach, and the psychological approach. The study is structured into two main parts; The first part discusses the emergence of the Saalik phenomenon in Arab society, its continuity factors, and the concept of "friend" along with its synonyms and significance in the lives of Saalik. The second part studies the image of the friend in the poetry of Saalik, analyses poetic texts related to this image and clarifies its details, characteristics and psychological dimensions.

Results: The results reveal that friendship held a crucial place in the lives of the Saalik; which appeared in the poets' depiction and description of their friends. This image varied between the image of a human friend and the image of other creatures such as animals and weapons. The poets revealed their feelings towards them and attributed human qualities to them.

Conclusions: the human friend's image represents part of the poet's personal identity and aligns with the collective identity of the Saalik, while friendships with non-human entities reflect a psychological need to fill the social void of isolation. These poetic depictions express the Saalik's thoughts and feelings toward humanity, society, and nature.

Keywords: Friend, Image, Pre-Islamic poetry, Saalik, Umayyad poetry.

صورة الصَّديق في شعر الصَّعاليك
من العصر الجاهليّ إلى نهاية العصر الأمويّ

شمس الإسلام أحمد حالو*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة القاسمية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

ملخّص

الأهداف: يهدفُ البحث إلى دراسة صورة الصّديق في شعر الصعاليك من العصر الجاهليّ حتى نهاية العصر الأمويّ، هؤلاء الشعراء الذين تميزوا بمذهب خاص في التفكير وأسلوب الحياة، فقد استقلّوا برأيهم وفلسفتهم ورؤيتهم للحياة والإنسان، ومنها نظرتهم الخاصّة للأصدقاء التي تجلّت في تصويرهم في أشعارهم، وهذا ما سيتناوله البحث موضّحًا أبعاد صورة الصّديق الخَلقيّة والخُلقيّة وكذلك النفسيّة.

المنهجية: اعتمد البحث على مناهج عدة؛ منها المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقصائي، كما استأنس بالمنهج النفسي. وجاء البحث في قسمين: أولهما الجانب النظري؛ ويستعرض نشوء الصّعلكة في العصر الجاهليّ وعوامل استمرارها إلى العصر الأمويّ، ثم مفهوم لفظة "الصديق" ومرادفاتها في لغة العرب، فأهمية الصّديق في حياة الصّعاليك. وثانيهما التحليلي؛ ويتناول دراسة صورة الصّديق في شعر الصّعاليك، سواء أكان إنسانًا أو غير إنسان كالحيوانات ووحوش الصّحراء والسلاح، محلِّلًا النصوص الشعرية المتعلقة بهذه الصورة وواقفًا على تفاصيلها وصفاتها الخارجيّة والداخليّة وأبعادها النفسيّة.

النتائج: من أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أنّ للصديق دورًا محوريًّا في حياة الصّعاليك، ظهر في تصوير الشعراء لأصدقائهم، وأخذهم نصيبًا وافرًا من أشعارهم، وقد تنوعت هذه الصّورة ما بين صورة الصّديق الإنسان وصورة غيره من المخلوقات كالحيوانات والسّلاح، وقد كشف الشعراء عن مشاعرهم تجاهها وأضفوا عليها الصفات الإنسانيّة.

الخلاصة: خلص البحث إلى أن صورة الصّديق الإنسان في شعر الصّعاليك حملت جزءًا من الهوية الشخصيّة للشاعر، وأظهرتْ ارتباطًا بالهويّة الجماعيّة المشتركة للصعاليك، في حين عكستْ صداقاتهم مع غير الإنسان حاجة نفسية عوّضتهم عن المجتمع البشريّ، وسدت فجوة العزلة المجتمعيّة، وعبّرت هذه الصّور عن نظرتهم للحياة، وعكست فكرهم ومشاعرهم تجاه الإنسان والمجتمع والطبيعة من حولهم.

الكلمات الدالة: صورة، الصّعاليك، الصّديق، الشّعر الجاهليّ، الشّعر الأمويّ.

مقدمة:

يشكّل الصعاليك واللُّصوص مجموعة مهمة من فئات المجتمع العربي في الجاهلية والإسلام، وقد كان لهم انعكاس جليٌّ في حياة الناس والمجتمع، فقد تميزوا بمذهب خاص في التفكير وأسلوب الحياة يختلف عن سائر القوم، كما تميزوا باستقلال رأيهم وبفلسفتهم الخاصة، والعيش بعيدًا عن القبيلة وحمايتها، منتهجين النهب والسلب وقطع الطرق أسلوبًا لهم في الحياة في مواجهة الفقر والحاجة والظلم الاجتماعي، وانعدام العدالة بين الفقراء والأغنياء، فانصرفوا عن قبائلهم ليستبدلها بعضهم بمجموعة من الأصحاب والأصدقاء من الصعاليك الذين اتَّحدوا معهم في الهدف والتفكير ومنهج الحياة، وبعضهم الآخر فضَّل صداقة وحوش الصحراء وحيواناتها بعيدًا عن البشر وخداعهم وظلمهم، وآخرون وجدوا الأمان والاطمئنان في صداقة سلاحهم الذي يشعرهم بالقوة ويلبيهم وقت الشدّة ويساعدهم في غزوهم وغاراتهم؛ ولذلك فقد كان للصديق أهمية كبيرة في نفوسهم وحياتهم، فصوّروه في شعرهم وذكروا صفاته التي جعلت منه جديرًا بصداقتهم وصحبتهم، وهذا ما سوف يسعى البحث إلى توضيحه من خلال شعرهم في الجاهلية وإلى نهاية العصر الأموي، فهو الفنُّ الذي حمل فلسفتهم للحياة وآراءهم فيها وانعكس فيه فكرهم وعاطفتهم وانفعالاتهم ونظرتهم لما حولهم في الكون والإنسان.

مشكلة الدراسة:

تتركز مشكلة الدراسة في الكشف عن تجليات صورة الصديق في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي، فالصداقة تمثِّل جزءا مهمًّا من حياة الصعاليك واللصوص، ولها مكانة في نفسهم ووجدانهم انعكست في تصويرهم لأصدقائهم الذين اتخذوهم أصحابًا لهم، وفي وصفهم لهم سواء أكانوا من الإنسان أم من الحيوانات ووحوش الصحراء أو السلاح، وكي تحقق الدراسة هدفها وتحيط بأطراف الموضوع فإنها ستجيب عن التساؤلات الآتية:

- ما أهمية الصديق في حياة الصعاليك، وما أنواع الأصدقاء الذين صورهم الصعاليك في شعرهم؟
- كيف تجلَّت صورة الصديق على اختلاف أنواعها في أشعار الصعاليك، وما الصفات والجزئيات التي نالت اهتمامهم ووقفوا عندها في تلك الصورة؟
- ما السمات الفنية والجمالية لتلك الصورة، وما أبعادها النفسية؟

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها جمعت بين صفحاتها الشعر المتعلق بصورة الصديق في شعر الصعاليك في بحث واحد، وفي استقصاء تلك الأشعار، ومن ثم في دراستها وتحليلها، وتوضيح أنواع تلك الصورة وتجلياتها في الشعر، وكشف تفاصيل صورة الصديق الخارجية والداخلية، وجزئياتها وجمالياتها وأبعادها النفسية؛ إذ لم يجد الباحث بحثًا سابقًا يستقصي ما يتعلق بهذه الصورة ويدرسها ويحلّل تفاصيلها وجزئياتها وأبعادها النفسية من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على مناهج عدّة فرضتها أقسامها، منها المنهج الاستقصائي في جمع الأشعار المتعلقة بتصوير الصديق، والمنهج الوصفي في عرض المادة النظرية؛ كنشوء ظاهرة الصعلكة عند العرب في العصر الجاهلي، وعوامل استمرارها إلى العصر الأموي، وأهمية الصديق في حياة الصعاليك، والمنهج التحليلي في الجانب التطبيقي الذي خُصِّص للحديث عن صورة الصَّديق في شعر الصعاليك، والتي جاءت في محورين، صورة الصديق الإنسان، وصورة الصديق من غير الإنسان الذي تجلَّى في الحيوان ووحوش الصحراء والسلاح، محلّلًا النصوص الشعرية المتعلقة بصورة الصديق، واقفًا على جزئياتها وتفاصيلها، واستأنست الدراسة بالمنهج النفسي في تحليل صفات صورة الصديق الخارجية والداخلية والوقوف على أبعادها النفسية.

أوّلًا- نشوء الصعلكة وعوامل استمرارها إلى العصر الأموي:

إنَّ نشوء الصعلكة في المجتمع العربي في العصر الجاهلي بشكل عام كان نتيجة لطبيعة البيئة الصحراوية القاسية وشظف العيش فيها والحياة البدوية غير المستقرة اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، فالبيئة الصحراوية لم تؤمن لساكنها الاستقرار والشعور بالأمان، فهي بيئة شحيحة الموارد، لا تعرف العدل والمساواة؛ من أصابه خيرها وغناها يساوره الاطمئنان وتغمره السعادة ويهنأ بشيء من الاستقرار المؤقَّت، ومن ضنَّت عليه وواجهته بجدبها وفقرها عانى ما عاناه من القلق والخوف والاضطراب، وهكذا تفاوتت القبائل في عيشها، ولم يكن الخير عامًّا على الجميع، حتى بين أفراد القبيلة الواحدة، فبعض أبنائها من الأغنياء الأسياد الشرفاء الذين يملكون القوة والزعامة والمال، وآخرون من المعدمين الفقراء الذين لا يملكون قوت يومهم وقد حرموا من أبسط حقوقهم الإنسانية، وهم يمثلون القسم الأكبر من أبناء القبيلة، وقد عانى هؤلاء من ذل الفقر والحاجة والظلم والتهميش الاجتماعي، الأمر الذي دفع بعضهم إلى الثورة على القبيلة والخروج على عادتها وتقاليدها واحتراف الغزو والسلب للحصول على أسباب الحياة. ومن

هؤلاء الأفراد عروة بن الورد، الذي التف حوله كثيرٌ من فقراء العرب، وعدّوه أبًا لهم لرعايته لهم واهتمامه بشؤون حياتهم، حتى لُقب بأبي الصعاليك، (الأصفهاني، 2008م) و (البكري، 1995م).

كما أدت التقاليد الاجتماعية إلى نشوء فئة الخلعاء الذين تبرأت منهم قبائلهم لكثرة جناياتهم وشرورهم، فلم يبقوا تحت رعاية القبيلة ودفاعها وحمايتها، كما لا تتحمل القبيلة نتائج جرائرهم مع القبائل الأخرى، ومن هؤلاء قيس بن الحُداديَّة وحاجز الأزدي وأبو الطَّمحان القيني. (عطوان،1970م) وهناك طائفة ثالثة انضمت إليهم، وهي طائفة الأغربة السود الذين ورثوا سواد بشرتهم من أمهاتهم الحبشيات، ومنهم تأبط شرًّا والشَّنفرى والسُّليك (ضيف، 1960م) و(خليف،1978م) هذا ما كان من أمر نشأتهم وفئاتهم في الجاهلية، وعندما جاء الإسلام وحفظ للناس كرامتهم الإنسانية وحقوقهم المادية، ففرض الزكاة، وحثَّ على الصدقات وعلى التعاون بين أبناء المجتمع بما يكفل لهم الحياة الكريمة ويغنيهم عن ذلِّ السؤال من جانب، ووضع حدودا صارمة للسارق وقاطع الطريق والمفسد في الأرض من جانب آخر، أدى ذلك إلى قلة عدد الصعاليك وتضاؤل نشاطهم، وكفّهم عن السَّلب والنَّهب، واختفت العوامل التي أدَّت في الجاهلية إلى التمرد على المجتمع والثورة ضده. وأما من بقي من الصعاليك فقد كان فاسدًا في نفسه وعقيدته كأبي الطمحان القيني وفضالة بن شريك اللذين لم يراعيا تعاليم الإسلام واستمرا على سلوك الجاهلية. (عطوان،1970م)

ومع مجيء العصر الأموي عادت الصعلكة إلى الظهور، ونشأت فئات عدة من الصعاليك؛ منهم الفقراء الذين لم تسبغ عليهم الصلات ولم يصلهم حقهم في الزكاة والصدقات، كمالك بن الريب وأبو النشناش التميمي. ومنهم خلعاء القبائل وشذاذها الذين كان ظهورهم نتيجة العادات القبلية الموروثة والمستمرة من الجاهلية، كالخطيم العُكْليّ، وعبيد بن أيوب العنبري، ومنهم الجناة الفارون من العدالة خوفًا من العقاب، كالقتال الكلابي والأحيمر السعدي، ومنهم الصعاليك السياسيون الذين خرجوا عن الدولة ساخطين ثائرين كعبيد الله بن الحر الجعفي، وأما فئة الصعاليك السود فكادت تتلاشى بسبب تعاليم الإسلام، ومنها الغداف الحبشي. (عطوان،1970م)

وقد عاش هؤلاء الصعاليك على اختلاف فئاتهم في ظروف صعبة قاسية يعانون الفقر والجوع والتشرد، وقد تخلت عنهم قبائلهم وبعضهم لاحقته الدولة وطاردته ليلجأ إلى القفار والأماكن النائية المنيعة يحتمي بها إما وحده أو مع صعلوك آخر أو مجموعة من الصعاليك مثله؛ وبذلك تشابهت حياتهم مع سابقيهم من الصعاليك في العصر الجاهلي. ويمكننا القول بشكل عام " لم يكن الصعاليك سوى فئة من فقراء القبائل المختلفة عبّرت بانسلاخها عن واقعين اثنين لهما دلالة واحدة: عبّرت أولا عن خروجها عن الالتصاق بحياة القبيلة والانقياد لأوضاعها وأعرافها مهما لقيت من عوز واضطهاد، وعبّرت ثانيًا عن حاجة مادة لم تستطع احتمالها في ظل القبيلة" (مروة، 2008م)

وكان القاسم المشترك بين هؤلاء الصعاليك جميعًا الفقر ومعاناة الجوع المؤلم والتشرد في وحشة الصحراء وظلامها المرعب، وأنهم حملوا نفوسًا متمردة تأبى الظلم وترفض الذل والخضوع لعادات وتقاليد مجتمع لا يعرف العدل بين أفراده ولا ينالون أرزاقهم فيه بالتساوي. فأخذوا يحققون ما يحتاجونه بأنفسهم معتمدين في تحصيل سبل عيشهم على الغزو والإغارة، فكانوا يغيرون على قوافل القبائل والأسواق ويسلبون الغنائم والإبل وما يستطيعون نهبه منهم، ويوزعون ما يغنمونه منها على أفراد مجموعتهم بالتساوي، حتى إن بعضهم كعروة بن الورد كان يؤثر الفقراء على نفسه ويقسم لهم من نصيبه من الغنائم. (عطوان،1970م)

ثانيًا- مفهوم لفظة "الصديق" ومرادفاتها في لغة العرب:

لا بدَّ لنا في البداية من الوقوف على المعنى اللغوي للفظة "الصّديق" وعلى مفهومها وأهم مرادفاتها في كلام العرب، من خلال العودة إلى المعاجم العربية؛ فقد قال ابن فارس "(صَدَقَ) الصَّادُ وَالدَّالُ وَالْقَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرَهُ. مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلَافُ الْكَذِبِ، سُمِّيَ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، هُوَ بَاطِلٌ. وَأَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ شَيْءٌ صَدْقٌ، أَيْ صُلْبٌ" (ابن فارس، 1979م) وقال في معنى الصديق: "وَالصِّدِّيقُ: الْمُلَازِمُ لِلصِّدْقِ... وَالصَّدَاقَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الصِّدْقِ فِي الْمَوَدَّةِ" (ابن فارس، 1979م) وقال الجوهري "الصداقَةُ والمُصادَقَةُ: المُخَالَّةُ... والصِّديق، مثال الفَسيق: الدائم التَصْديقِ، ويكون الذي يُصَدِّقُ قولَه بالعمل" (الجوهري، 1987م) وفي "قوله تعالى: ﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ الصَّديق الذي صدقت مودته" (الهروي، 1999م) فـ"الصَّديقُ مأخُوذٌ مِنَ الصِّدْق" (الصحاري، 1999م) وقال ابن منظور: " والصَّداقةُ والمُصادَقةُ: المُخالَّة. وصَدَقَه النصيحةَ والإِخاء: أَمْحَضه لَهُ. وصادَقْتُه مُصادَقةً وصِداقاً: خالَلْتُه، وَالِاسْمُ الصَّداقة. وتصادَقا فِي الْحَدِيثِ وَفِي الْمَوَدَّةِ، والصَّداقةُ مَصْدَرُ الصَّدِيق، واشتقاقُه أنه صَدَقَه المودَّة والنصيحةَ. والصَّدِيقُ: المُصادِقُ لَكَ" (ابن منظور، 1414هـ) وقال الفيروزآبادي: " الصَّداقةُ: المَحَبَّةُ" (الفيروزآبادي، 2005م) وقال المرتضى الزبيدي «والصَّدَاقَة: إمْحاضُ المحبّة" (الزبيدي، 2001م) فالصديق إذن لفظ مشتق من الصَّداقة التي تحمل معاني الإخاء والإخلاص والمحبة الخالصة وصدق المودة والنصيحة.

وأمّا عن أهم مرادفات لفظة "الصديق" في لغة العرب، وعن معناها في المعجمات، فهي:

الخُلَّة والخليل والخِلّ: قال ابن منظور في معناها: "الخُلَّة، بِالضَّمِّ: الصَّدَاقَةُ وَالْمَحَبَّةُ الَّتِي تخلَّلت الْقَلْبَ فَصَارَتْ خِلالَه أَي فِي بَاطِنِهِ. والخَليل: الصَّدِيق" و"الخليل المحِبُّ الذي ليس في محبته نقصٌ ولا خللٌ" (الصُحاري، 1999م) وذكر ابن سيده أن الخليل الصَّفيّ المودّة، (ابن سيده، 1996م) كما ذكر ابن منظور أن الخُلَّة: الصَّدِيقُ، الذَّكَرُ والأُنثى وَالْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ فِي ذلكَ سَوَاءٌ، ومنه قَوْلَ كَعْبِ بْنِ زُهَيْر:

يَا وَيْحَها خُلَّة لَوْ أنها صَدَقَتْ　　　موعودَها أو لَوْ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

... وأن الخِل: الوُدُّ والصديقُ، وقال ابنُ سِيدَة: الخِلُّ الصَّديق المُخْتَصُّ، وَالْجَمْعُ أَخْلال (ابن منظور، 1414هـ)

الصَّاحب: قال ابن منظور "صحب: صَحِبَه يَصْحَبُه صُحْبة، بِالضَّمِّ، وصَحابة، بِالْفَتْحِ، وَصَاحَبَهُ: عَاشَرَهُ. والصَّحْب: جَمْعُ الصَّاحِبِ ... والأَصْحاب: جَمَاعَةُ الصَّحْب ... وَالصَّاحِبُ: المُعاشر" (ابن منظور، 1414م) وقال أبو البقاء الكفوي "الصاحب: الملازم إنْسَانا كَانَ أَو حَيَوَانا أَو مَكَانا أَو زَمَانا، وَلَا يفرق بَين أَن تكون مصاحبته بِالْبدنِ وَهُوَ الأَصْل وَالْأَكْثَر، أَو بالعناية والهمة" (الكفوي، 1998م).

الأخ: قال ابن سيده: "الْأَخ، من النّسَب، مَعْرُوف، وَقد يكون الصّديق والصاحب" (ابن سيده، 2000م) وذكر السيوطي أن ابن درستويه قال: "الأخ: الشقيق وبه يسمى الصَّديق والرفيق والصاحب على التقريب حتى إنه ليقال في السلع ونحوها إذا اشتبهت في الصورة أو في الجَوْدة أو القِيمة" (السيوطي، 1998م) وفي المثل: رب أخ لك لم تلده أمُك يعني رب صديق لك أربى على أخيك من أبيك وأمك. (ابن رفاعة، 1433هـ).

الرفيق: "رافَق الرجلَ: صاحَبَه. ورَفِيقُك: الَّذِي يُرافِقُك، وَقِيلَ: هُوَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ خَاصَّةً، الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ مِثْلُ الصَّدِيق. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً ﴿النساء 69﴾" (ابن منظور، 1414هـ) وقال المرتضى الزبيدي: "والرِّفاقُ: مَصدرُ رافَقْتُه. وقالَ اللَّيْثُ: الرُّفْقَةُ يُسَمَّوْنَ رُفْقَةً مَا دامُوا مُنْضَمِّينَ فِي مَجْلسٍ واحدٍ، ومَسِيرٍ وَاحِد، فَإِذا تَفَرَّقُوا ذَهَب عَنْهُم الرُّفْقَة، والرُّفْقَةُ: القومُ ينهَضُونَ فِي سَفَر، ويَسِيرونَ مَعاً، ويَنْزِلُون مَعًا، وَلَا يَفْتَرِقُون، وأَكثرُ مَا يُسَمَّوْنَ رُفْقَةً إذا نَهضُوا سُيّارًا" (الزبيدي، 2001م)

الخِدْنُ والخَدِين: " الخِدْنُ والخَدِين: الصديقُ، وَفِي المُحْكَمِ: الصاحبُ المُحدِّثُ، وَالْجَمْعُ أَخْدانٌ وخُدَناء. والخِدْنُ والخَدِينُ: الَّذِي يُخَادِنُك فَيَكُونُ مَعَكَ فِي كُلِّ أَمر ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ. وخِدْنُ الْجَارِيَةِ: مُحَدِّثُها...والمُخادَنة: المُصاحبة، يُقَالُ: خادَنْتُ الرجلَ... الخِدْنُ والخَدِينُ: الصَّدِيقُ. والأَخْدَنُ: ذُو الأَخْدانِ" (ابن منظور، 1414م)

الإلف والأليف: "أَلِفْتُ الشيءَ وأَلِفْتُ فُلَانًا إِذَا أَنِسْتَ بِهِ، وأَلَّفْتُ بَيْنَهُمْ تأْلِيفاً إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقٍ، وأَلَّفْتُ الشَّيْءَ تأْلِيفاً إِذَا وصلْت بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؛ وَمِنْهُ تأْلِيفُ الْكُتُبِ. وأَلَّفْتُ الشيءَ أَي وصَلْتُه" (ابن منظور، 1414هـ)

وقال نشوان الحميري: "الإلف: الصَّاحب، وكذلك الأليف. قال الشاعر:

وكلُّ أليفٍ فاقدٌ لأليفهِ　　　ومعترفٌ بالبَيْنِ حتَّى البهائم"

(الحميري، 1948م)

وهكذا وجدنا ألفاظا أخرى في لغة العرب بالإضافة إلى الصديق تحمل معنى الصداقة وما ينضوي تحتها من معاني المحبة والمودة والإخلاص، من أبرزها الخليل والصاحب والأخ والرفيق والخدن والإلف.

ثالثًا- أهمية الصَّديق في حياة الصعاليك:

عاش الصعاليك خارج قبائلهم دون حماية ورعاية من المجتمع، فواجهوا مصاعب الحياة وقسوتها دون مساعدة أحد؛ ولذلك فقد أخذوا يبحثون عن حياة اجتماعية بديلة تؤمن له شيئا من الحماية التي فقدوها وتشعرهم بروح الجماعة التي حرموا منها، فالعيش ضمن الجماعة فطرة لدى الإنسان لا تستقيم حياته بدونها، فكانت هذه الجماعة التي تتكون من أصدقائهم الصعاليك الذين جمعتهم معهم المعاناة المشتركة، والأهداف الواحدة، وأسلوب الحياة المتشابه، الأمر الذي جعل الصداقة والصحبة تحتل مركزا محوريا في حياة الصعاليك، وهكذا بدأت تتشكل هويتهم التي بحثوا عنها ووجدوها في هذه الحياة المشتركة مع أصحابهم، وقد عاشوا معا في الصحراء عيشة الذؤبان، معتمدين على أنفسهم في الدفاع عن حياتهم، وعلى قوَّتهم في تحصيل ما يعتاشون به، بالإغارة على الطرق والمسالك، وبمهاجمة أحياء العرب المبعثرة، أفرادا أو طوائف، وهم أبدا في خوف من متعقب يتعقبهم، لاسترداد ما أخذ أو سلب، أو متربص يتربص بهم الدوائر ليأخذ منهم ما غنموه بالقوة من غيرهم أو ما قد يجده في أيديهم، وهكذا كتب عليهم أن يعيشوا هذا الصراع مع أبناء مجتمعهم، وبالرغم من اختلاف الدوافع التي دفعتهم إلى حياة التصعلك، فإنهم جميعا فقدوا توافقهم الاجتماعي، وهو الأساس الذي تقوم عليه الصلة بين الفرد والمجتمع، وهذا الفقدان ينتهي بالفرد عادة أن تكون صلته بمجتمعه قائمة على أساس "السلوك الصراعي" (سركيس، 1979م)

وعلى الرغم من أنهم من قبائل مختلفة "لا تجمعهم عصبية القبيلة، ولا نخوة العشيرة، ... فبينهم رابطة قوية، ووحدة جمعت بينهم، هي وحدة الدفاع عن النفس، والذَّبُّ عنها، والكفاح في سبيل المعيشة، بأي سبيل، وبأية طريقة وجدت ووقعت، حتى بالقتل" (علي، 2001م)

وقد عبروا عن أهمية الأصدقاء في حياتهم فها هو ذا عروة بن الورد الذي عرف عنه اهتمامه الكبير بأصحابه، وقيامه على شؤونهم، وتضحياته الكبيرة لأجلهم، ووقوفه إلى جانبهم خاصة في أوقات الضيق والشدة، يبين أهمية الأصدقاء في حياته، ويرى أن الصداقة التزام وأخلاق ووفاء ويصف أصدقاءه بالإخوة، ويقول إنه لا يمكنه أن يفرِّط بصداقتهم مشبها تمسّكه بهم بالظمآن الذي لا يمكنه أن يتخلى عن الماء؛ لأن حياته قائمة عليه، كما أنه يحفظ صديقه ولا يخونه كما يفعل غيره من الخائنين الذين يدسون السُّم لأصدقائهم: (ابن الورد، د.ت)

فلا أتركُ الإخوانَ ما عشتُ للرَّدى كما أنَّه لا يترك الماءَ شاربُه

ولا يُستضامُ الدهرَ جاري ولا أُرى كمَنْ باتَ تسري للصديقِ عقاربُه

بهذه التشبيهات الحسيَّة التي اصطفاها عروة من بيئته الصحراوية " لا يترك الماء شاربه" و"تسري للصديق عقاربه" استطاع أن يعكس لنا أهمية الصديق في حياته، فالماء في الصورة الأولى يعادل الأصدقاء وهو الحياة في تلك الصحراء التي يخشى العربي فيها دائما من الموت عطشًا، وفي الصورة الثانية الصديق الغادر عقربٌ يدسُّ السمَّ ليقتل صاحبه، وهذا تشبيه معبّر يعكس بشاعة الغدر والخيانة من جانب، ويكشف عن الخوف الذي عاناه العربي من حشرات الصحراء وحيواناتها وزواحفها، وخاصة العقارب القاتلة الغادرة.

ويؤكد عروة في أبيات أخرى أن الصداقة إخلاص ومودة دائمة لا تزول ولا تندثر بتغير أحوال الدهر على الصديق، ولا تتعلق بالمال؛ لذلك فإنه لا يكاثر صاحبًا في يسره، ويصدُّ عنه ويهجره في عسره، إنه يحافظ على المودة بينهما أيًّا كانت حاله: (ابن الورد، د.ت)

ما بالثراءِ يسودُ كلُّ مُسَوَّدٍ مُثْرٍ ولكنْ بالفَعالِ يسودُ

بل لا أكاثرُ صاحبي في يسرِهِ وأصدُّ إذ في عيشهِ تصريدُ

وإن تأبط شرًا يفخر بنفسه في إغاثته لأصدقائه وإجابته لهم إذا ما احتاجوه، وهو لكرم أخلاقه لا يمتنع أيضًا عن أولئك الذين يسيئون إليه ويتهمونه بالمخاتلة والخداع، وما هذا إلا لإدراكه لأهمية الأصدقاء في حياته: (تأبط شرًّا،1948م)

وما كنتُ أبّاءً على الخِلِّ إذ دَعَا ولا المرءِ يَدْعوني مُمِرًّا مُدَاهِنَا

(الممر: المُخادع المُداور، المُداهِن: المُصانِع المُخاتِل)

كما يصوِّر تأبط شرًّا أهمية الصديق في حياته بوصف حزنه على فراق أصدقائه الذين قتلوا، فقد جزع على فقدهم، وشعر أن مصابه فيهم من أعظم المصائب، وأن الأمل في الحياة انقطع من بعدهم خاصة لأولئك الذين كانوا يصيبون من كرمهم وعطائهم: (تأبط شرًّا،1948م)

أبعدَ قتيلِ العوصِ آسَى على فتًى وصاحبِهِ أو يأملُ الزَّادَ طارقُ

فالأصدقاء إذن جزء مهم من حياتهم لا يمكنهم أن يعيشوا بمعزل عنهم، فهم الأخوة والخلان والأهل والأمان الذي يعوضهم عن حياة القبيلة، والسند الذي يحميهم في الشدائد.

رابعًا- صورة الصَّديق في شعر الصعاليك:

باستقراء أشعار الصعاليك نجد أن صورة الصديق شهدت حضورًا واضحًا في نظمهم، فلا يكاد شعر شاعر منهم يخلو من ذكر للأصدقاء وحديث عنهم، ويمكننا أن نميّز في أصدقائهم فئتين؛ الصديق الإنسان الذي تتجلى صورته في أصدقاء الشاعر الصعاليك الذين ينتمي إلى مجموعتهم التي يلتزم الصعلوك معها ويكون جزءًا منها له ما لها، وعليه ما عليها، و تشكل جزءًا من هويته الشخصية، يشاركها حياة البؤس والشقاء، ومعاناة الفقر والسعي وراء لقمة العيش بالغزو والنهب والسلب والقتل، فهذه الحياة التي اختارها وآمن بها ووجد فيها ذاته ونفسه، وهو ملتزم بهذا الاختيار؛ ولذلك فإن أفراد هذه المجموعة هم أهله وأصدقاؤه الذين يشعرون به ويتفقون معه في رأيه ويؤازرونه في مواقفه، ويؤمنون له الحماية بدلا من القبيلة، فحياته إذن مرتبطة بهذه المجموعة من الأصدقاء الذين يراهم صادقين في علاقتهم، وبعيدين عن صور الغش والخداع والنفاق والظلم الموجود في القبيلة وفي الناس الذين عزفوا عنه فاختار هؤلاء بدلًا عنهم.

ولكن لم تكن مجموعة الصعاليك وأفرادها تمثّل الصديق الوحيد للصعلوك، فحياة الصعاليك في مجاهل الصحراء وعيشهم في فلواتها الواسعة وملازمتهم لوحوشها ووحشتها وظلامها ومعاناتهم من غدر البشر وظلمهم واضطهادهم، ومن نظرة الازدراء التي لاحقت بعضهم منذ ولادته، جعلهم يتجهون إلى صداقات أخرى شعروا أن دورها في حياتهم لا يقلُّ أهمية عن دور البشر بل ربما تكون أفضل منهم أحيانا؛ فصادق بعضهم حيوانات الصحراء ووحوشها الذين اشتركوا معهم في مكان العيش والنفور من الإنس، وربما وجدوا في قربها الأمان أكثر من بني البشر الذين ظلموهم وسلبوهم إنسانيتهم وحقوقهم. وصادق بعضهم الآخر سلاحه وعتاده الذي يدافع به عن نفسه وقت الشدة ويحفظ له حياته ويحميه من غدر الأعداء، وقد تحدثوا عن أولئك الأصدقاء في شعرهم وصورهم أروع تصوير، وفيما يأتي نتحدث عن تلك الصور تباعًا.

1- صورة الصديق الإنسان:

إنَّ منزلة الأصدقاء عند الصعلوك لا تقلُّ عن منزلة الإخوة والأقرباء، فهم المجموعة التي تؤمن له الحماية والاهتمام والحياة الاجتماعية، وتعوِّضه عن فقد القبيلة وأبنائها. وهي المجموعة التي تؤمن بأفكاره وآرائه وتتخذ من أسلوبه في الحياة منهجًا لها أيضًا؛ من هنا كانت شخصية الشاعر الصعلوك

شخصية "جماعية"، ولسنا نقصد بالجماعية فناء الشاعر الصعلوك في جماعته فناء يشبه فناء الشاعر القبلي في قبيلته، وإنما نقصد بها ذلك التشابه في الشخصيات بين أفراد جماعة الصعاليك" (خليف، 1978م) وسوف يظهر هذا في تصويرهم لأصدقائهم الذين يعولوّن عليهم في صداقتهم، والذين يتميزون بصفات تشبه صفاتهم التي يعتدون بها ويفتخرون فيها، وهناك صورة أخرى مناقضة لهذه الصورة تحدثوا عنها في شعرهم أيضًا، تتجلى فيها صفات الصديق السيء الذي يأنفون من صحبته وينصرفون عنه.

أ- صورة الصديق النموذجي:

صوَّر الشعراء الصعاليك الصديق الذي يعتزون بصداقته ويحرصون عليها، تلك التي تكون مصدر قوة وعزّة وفخر لهم، فها هو ذا تأبط شرًّا يذكر لنا صورة الصديق الذي يعوَّل عليه في حياته، والذي يستحق صداقته وقد تجلَّت هذه الصفات في شخصية صاحبه الشنفرى: (تأبط شرًّا،1948م)

ولا أَقولُ إذا ما خُلَّةٌ صَرَمَتْ   يا وَيحَ نفسيَ مِن شوقٍ وإشْفاقِ

لكنَّما عَوَلي إنْ كنْتُ ذا عَوَلٍ   علَى بَصيرٍ بِكَسبِ الحمدِ سَبَّاقِ

سَبَّاقِ غاياتِ مَجدٍ في عَشِيرَته   مُرَجِّعِ الصَّوتِ هدًّا بينَ أَرْفَاقِ

عارِي الظَّنَابِيبِ مُمْتدِّ نَوَاشِرُهُ   مِدْلاجِ أَدْهَمَ وَاهِي الماءِ غَسَّاقِ

حَمَّالِ أَلويةٍ شَهَّاد أَندِيةٍ   قَوَّالِ مُحْكَمَةٍ جَوَّابِ آفاقِ

فَذَاكَ هَمِّي وغَزْوي أَسْتَغِيثُ به   إذا استَغَثْتَ بِضَافِي الرَّأْسِ نَغَّاقِ

(العِوَل، بفتح الواو مع فتح العين وكسرها: مصدر بمعنى العويل، وهو رفع الصوت بالبكاء والاستغاثة. الظَّنابيب جمع: ظُنْبوب، وهو حرف عظم الساق، المِدْلاج: كثير سفر الليالي بطولها. واهي الماء: مطره شديد. غزوي: مقصدي، من الغزو وهو القصد. ضافي الرأس: كثير الشعر، نغّاق: كثير النُّغاق وهو الصياح) (المرزوقي،2003م)

فتأبط شرًّا يضع أمامنا صفات الصديق النموذجي الذي يحرص على صداقته، ويبكي ويحزن عليه في حال فقده، والتي تجلَّت كلّها في صديقه الشنفرى، ويرسم لنا صورة هذا الصديق بعد أن يبيّن عدم حرصه وإشفاقه وحنينه لمن يقطعه ولا يصله، ويؤكد تمسكه بصديقه الشنفرى الذي تراءت فيه صورة الإخلاص والمودة؛ ولذلك فإنه يحرص صداقته في حياته ويبكي على فقدها لما في الشنفرى من صفات يجلها ويقدرها، فهو إنسان جاد يسعى إلى تحصيل محامد الأمور ويبادر إلى كسبها، ويجتهد في الوصول إليها، وهو سبَّاق إلى تحصيل المجد والعلا بين أبناء قومه، كما أن له مكانة مرموقة بينهم فهو رئيسهم الذي يفصل الأمور، وله كلمة مسموعة ورأي مطاع بين رفاقه، وفي هذا الصديق أيضًا تظهر الصفات الجسمانية التي تميّز الصعلوك من نحول الجسم الذي يظهر في عظم ساقه وعروق ذراعه؛ وهذا لأنه قليل الطعام عفيف النفس، وهو كذلك شجاع وجريء يقتحم الليالي الطويلة الممطرة شديدة الظلمة، مقدام تراه دائمًا في مقدمة المعارك والغارات يقودها ويحمل لواءها، كما أنه من أشراف الناس يشهد مجالس القوم وينطق بالكلام المحكم الفاصل، فهو مقدام جريء يملك العزم والإرادة لا يهاب أحدًا يتنقل في البلاد ويغزو الآفاق. فهذه إذن صورة الصديق الذي يحرص تأبط شرًّا على صداقته ويسعى إليه ويعتمد عليه ويتشبث به ويفتخر فيه، ويستغيث به وقت الشدة، وهو في ذلك يختلف عن الآخرين الذين يعوِّلون على صداقة الراعي الذي وصفه بأنه راع كثير الشعر ملبده لا يجيد إلا رعي قطيع الأغنام والصراخ وراءها. والبون شاسع بين الصديق الذي يتمتع بهذه الصفات وبين هذا الراعي الذي آثر السلامة والنجاة ورضي بحياة الذل والانكسار ولم يسعَ إلى حقوقه التي سلبت منه، فالشاعر لا يجد فيه ما يستحق الصداقة ولا يمكنه أن يكون مكانا للاستغاثة والنصرة.

وهكذا قدَّم لنا تأبط شرًّا صورة تفصيلية لصديقه جمعت الملامح الجسمانية والصفات النفسية، فقد صور لنا أخلاقه ومحامده التي تشمل معاني الرفعة والسيادة والعزة والإباء والشجاعة والإقدام والعزيمة والجرأة، كما صور شكله الخارجي الذي يجعله واضح الانتماء إلى أسرة الصعاليك كنحوله وظهور عظام ساقه وعروق يديه ليعكس عفة نفسه وجلده وصبره على حياة التقشف والشدة. وكذلك صور مشاعره الصادقة نحوه، إنه يحمل له كل تقدير ومودة ويحرص على صداقته.

وكان الشنفرى يبادل تأبط شرًّا تلك المودة وذلك الإعجاب، وقد لقبه بـ "أم عيال" لقيامه بأمور الصعاليك واهتمامه بشؤونهم ورعايتهم، وكأنه الأمُّ الرؤوم التي تدبّر أمر أولادها وتسعى من أجلهم، وتخاف عليهم الجوع وانقطاع الطعام عنهم؛ فتقسو عليهم لمصلحتهم، إنها تقتّر عليهم بالطعام على الرغم من جوعهم الشديد؛ لتستبقي شيئا كمؤنة للأيام القادمة لا بخلا منها ولا شحًّا ولكن شفقة وخوفا على أبنائها من الجوع، وبروح محبة تحمل كلَّ ود يتعجب الشنفرى من سياسة هذه الأم وجمعها في شخصيتها بين الحنان والشدة، العطاء والمنع! ويذكر أنها أمٌّ تختلف صورتها عن صورة الأم المعهودة،

فهي راعية لمجموعة صعاليك، لا يحجبها ستر كبقية النساء ولا ترتجي أن تمكث في بيتها وتلتزم المبيت فيه إلا إن رغبت هي بذلك، فهي في غزو وتنقل دائم من أجل حياة الصعلكة التي اتخذتها أسلوبا لحياتها: (الشنفرى، 1996م)

وأُمُّ عِيَالٍ قد شَهِدتُ تَقُوتُهُمْ | إذا أطعمتهم أوتحت وأَقَلَّتِ
تَخافُ علينا العَيْلَ إنْ هي أَكثرتْ | ونحْنُ جِيَاعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ
وما إنَّ بها ضِنٌّ بما في وِعَائِها | ولكنَّها مِن خِيفِةِ الجُوعِ أَبْقَتِ
مُصَعْلِكَةٍ لا يَقْصُرُ السِّتْرِ دُونَها | ولَا تُرْتَجَى للبَيْتِ إن لم تُبَيِّتِ

ويتابع في تصوير هذه الأم التي أعدَّت عدَّتها للغزوات والغارات وحياة الصعاليك، فيصور أسلحتها من كنانتها التي جمعت فيها السهام طويلة النِّصال، وسيفها البتّار، ويصف تأهبها واستعدادها للقتال؛ إنّها تتجه نحو عدّوها بسرعتها الفائقة وقد شمَّرت عن ساقها بكل جدٍّ وتصميم وأخذت تجول وتصول كأنّها العير الذي أخذته الحميّة والغيرة على أتنه يطرد الحمير عنها بكل جهده وقوته، تحارب أعداءها بسيفها القاطع وترميهم بما في كنانتها من السهام النافذة:

لها وفْضةٌ فيها ثلاثونَ سَيْحَفاً | إذا آنَسَتْ أُولَى العَدِيِّ اقْشَعَرَّتِ
وتأْتِي العَدِيَّ بارزاً نِصْفُ سَاقِها | تَجُولُ كَعَيْرِ العَانَةِ المُتَلَفِّتِ
إِذَا فَزِعُوا طارتْ بأَبيضَ صارِمٍ | ورامَتْ بِما فِي جَفْرِها ثُمَّ سَلَّتِ

(الوفضة: الكنانة، والسَّيْحَف من النِّصَال الطَّوِيلُ وَقيل العَرِيض) (ابن سيده، 1996م).

لقد أبدع الشنفرى في رسم هذه الصورة لصديقه تأبط شرًّا، وخاصة في لقبه "أم عيال" فقد رسم صورة صديقه مستخدما ضمير المؤنث بدلًا من المذكر فجاءت صورته فريدة في أسلوبها محكمة في صياغتها، معبرة عن إعجابه بشخصية صديقه وما فيها من صفات الانتماء للجماعة والحرص عليها والتضحية لأجلها إلى جانب الشجاعة والإقدام وإخلاصه لحياة الصعلكة التي رهن نفسه لها.

ولم يكن الشنفرى متفردًا في إعجابه بتأبط شرًّا، فهذا أبو كبير الهذلي يثني على صدق تأبط شرًّا في صداقته مع أصحابه وحمايته لهم عند الشدة والمكاره، ووقوفه إلى جانبهم وإكرامه لهم، فهو مأوى الفقراء منهم وملاذهم: (شعراء هذليون، 1965م)

يَحْمِي الصِّحَابَ إذَا تَكُوْنُ كَرِيْهَةٌ | وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا فَمَأْوَى العُيَّلِ

ومن الذي ينال اهتمام الصعلوك في حياته المليئة بالخطر أكثر من صديق شجاع بطل يؤمن له حماية حياته من الموت والخطر!

وإن هذا التعاطف بين الأصدقاء وحرصهم على بعضهم وتكاتفهم وتآزرهم خاصة وقت الشدائد والملمات كثر الحديث عنه في شعر الصعاليك، فكانوا يصفون تلك المواقف ويصوّرن عطف الصديق على صديقه وتضحيته لأجله وعونه له، فهذا السُّليك ابن السلكة يصبِّر صديقه الذي يدعى صُرد، وقد كانا مسافرين معًا للغارة على أرض مراد، فقلّ عليهم الماء حتى خافا الهلاك فأخذ صرد يبكي، فما كان من أمر السُّليك إلا أن حاول تهدئته والإشفاق عليه، وتأميله بما سيصيبهم من خير من هذه الغارة، وهما الفقيران المحتاجان إلى الطعام والشراب، (البطليوسي، 1996م) فقال السليك في ذلك: (ابن السلكة، 1994م)

بكى صُرَدٌ لما رأى الحيَّ أعرضَتْ | مَهَامِهُ رملٍ دونَهمْ وسُهوبُ
وخوَّفَهُ ريبَ الزَّمانِ وفقرَهُ | بلادُ عدوٍّ حاضرٍ وجَدوبُ
ونأيٌ بَعيدٌ عن بلادِ مُقَاعِسٍ | وإنَّ مخاريقَ الأمورِ تَريبُ
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُكَ إنَّها | قضيةُ ما يُقضى لها فنؤوبُ
سيكفيكَ فَقدَ الحي لحمٌ مُغَرَّض | وماءُ قدُورٌ في الجِفانِ مَشُوبُ

(لحم غريض: طري. (القالي، 1975م). المهامه: جمع المَهْمَهُ، وهي الفَلاةُ لَا ماءَ بِهَا وَلَا أَنيسَ، وقيل الأرض المقفرة. (ابن منظور،1414ه)

وهذا الأعلم الهذلي يصوِّر التعاون بين الأصدقاء في حديثه عن مغامرة من مغامراته مع أحد أصحابه الصعاليك، وقد همَّا بالفرار إثر وقوعهما في مأزق شديد فجموع من الأعداء تلاحقهما وتحاول الإيقاع بهما، حتى أوشكت على ذلك، ومن شدة ما أصاب الشاعر من هول الموقف فقد أصابه الفزع وفشل في الرمي، ولم يتمكن من وداع صديقه الذي فرَّ عنه، ولكنَّه فطن إلى قيمة وجوده معه وحاجته إليه في هذا المأزق، فأخذ الشاعر يحثّه على العدو والجري ومراوغة العدو وخداعه كي يعجز عنهما لعلهما ينجوان من جموعه التي تلاحقهما، وهذا يعكس ثقته بهذا الصديق ويبين الانسجام والتفاهم بينهما والتكاتف والتآزر عند الشدائد والمواقف المحرجة: (شعراء هذليون، 1965م)

لمّا رأيتُ القومَ بالـ	عَلْياءِ دون قِدَى المَناصِبْ
وفَرِيتُ من فَزَعٍ فلا	أرمِي ولا وَدّعتُ صاحبْ
يُغْرون صاحِبَهم بنا	جَهْدا وأُغْرِي غير كَاذبْ
أغْري أبا وَهْبٍ لِيُعْـ	جِزَهمْ ومَدّوا بالحَلائبْ

(قِدى: قيد، المَناصب: الأغراض والمرامي، فَرِيت: دُهشت، الحلائب: جماعات جاء بعضهم في إثر بعض) (السكري، د.ت)

ويشيد عمرو ذو الكلب بأصدقائه الذين يشدُّ عضده فيهم في غزوه لأعدائه، ويهدد أعداءه أن المعركة بينه وبينهم شديدة ومستمرة ولا تراجع فيها، حتى تنتهي إمّا بالظفر بهم والانتصار عليهم أو قتلهم له، وأنه إذا ما ظفر بهم أنه سيغزوهم قاطعا الجبال العظيمة ليصل إليهم مع أصدقائه الصعاليك الرجال الأبطال الذين تتراوح أعدادهم بين الواحد والاثنين والجماعة، ومن شدة شجاعتهم يمرّون بالأنس في منازلهم فيَهْرُبون من خوفهم ورعبهم منهم: (السكري، د.ت)

فإنْ أثْقِفْتُمُوني فاقْتلوني	وإنْ أُثْقَفْ فسوفَ تَرَوْنَ بَالِي
فأبرحُ غازيًا أهدِي رعيلًا	أَؤُمُّ سَوادَ طَوْدٍ ذي نِجَال
ويبرحُ واحدٌ واثنانِ صحبي	ويومًا في أضاميمِ الرّجالِ
بفتيانٍ عَمَارِطَ مِنْ هُذَيْلٍ	هُمُ ينفونَ آناسَ الحِلالِ

(العَمْرُوط: الصعلوك، والجمع عَمَارِط)

وهذا الشنفرى يصور أصدقاءه من خلال وصفه لتعاونهم وتكاتفهم في سبيل تحقيق هدفهم وتأمين سبل عيشهم؛ فقد خرجوا في مجموعة تتألف من ثمانية أفراد من الصعاليك منهم تأبط شرًّا وعمرو بن براقة والمسيب يقصدون الإغارة على حي العوص من بجيلة، فيصور خروجهم مسرعين حتى إنهم لسرعتهم لم يتعاهدوا على أي أمر ولم يوصوا أية وصية: (الشنفرى، 1996م)

خرجنا فلمْ نَعْهَدْ وقلَّتْ وصاتُنا	ثمانيةٌ ما بعدَها مُتَعَتَّبُ

ثم يصور هؤلاء الأصدقاء الصعاليك فيشبههم بالذئاب، ويصور وجوههم فيذكر أنها مشرقة تشبه المصابيح المضيئة أو تشبه في إشراقها لون الماء المذهَّب، وهذا لأنهم مقبلون بشجاعة وقناعة لا تردد ولا خوف يمنعهم:

سراحينُ فتيانٌ كأنَّ وجوهَهمْ	مصابيحُ أو لونٌ منَ الماءِ مُذْهَبُ

ثم يصور عفّة نفسهم، وتصميمهم على هدفهم وسعيهم إليه دون أن يشغلهم شيء عنه، إنهم يمرون في طريقهم إلى غارتهم بالماء مسرعين لا يتوقفون عنده على الرغم من فراغ سقائهم من الماء وحاجتهم إليه، ولا وقت لديهم أيضا للتفكير بالطعام الآن، فالحصول عليه ظن بعيد:

نمرُّ برهوِ الماءِ صفحًا وقدْ طَوَت	ثمائلُنا، والزَّادُ ظنٌّ مَغَيَّبُ

ويصور صبرهم وشدة تحملهم؛ فقد ساروا ثلاثة أيام راجلين على أقدامهم، يتقدمهم دليل من أصحابهم، ثم يصوِّر هذا الصديق الدليل، فيذكر أنه شجاع خبير بالحروب، طويل القامة خفيف الحركة، لينتقل بعدها إلى تصوير شجاعة أصدقائه بعد أن بدأت المعركة في سواد الليل، وقد تعالت أصوات العدو وجاوبتها صيحات الصعاليك واحتدم القتال، ليشن عليهم تأبط شرًّا هجوما بسيفه الذي يتابع الضرب فيهم ولا يهدأ عن الحركة، ويصور

فعل المسيب الذي شدَّ عليهم بتصميم ولم يرحمهم بضربات سيفه الحسام القاطع، وهكذا بفضل تكاتفهم عادوا منتصرين فائزين، عادوا إلى قومهم تبدو عليهم أمارات الفلاح وتحقيق الهدف، ليحدثوهم بكل فخر عن إنجازهم حديثا صادقا لا يعرف الكذب لأنه حقيقة حصلت معهم:

ثلاثًا على الأقدامِ حتَّى سَمَا بنا ... على العَوْصِ شَعْشَاعٌ مِنَ القومِ مِحْرَبُ

فثاروا إلينا في السَّوادِ فهجهجوا ... وصوَّت فينا بالصباحِ المُثوِّبُ

فشنَّ عليهمْ هِزَّةَ السَّيفِ ثابتٌ ... وصمَّمَ فيهمْ بالحسامِ المُسيَّبُ

فلمَّا رآنا قومُنا قيلِ أفْلَحُوا ... فقلْنا اسْألُوا عَنْ قائلٍ لا يُكَذَّبُ

(الثَّميلةُ: الماءُ القليل الباقي في الحَوض والسِّقاء.(الفراهيدي، د.ت) هجهجوا: صاحوا، المثوّب، العائد)

وقد يتجاوز الشاعر ذكر أصحابه في أثناء الغارة والهجوم، ويذكر ما حصدوه في نهايتها، فهذا الفوز يعدُّ جماعيًّا وثمرةً يعود نفعها عل كلِّ أفراد المجموعة؛ فهذا السليك يرجع إلى أصدقائه، وقد حقق هدفه، وسلب الإبل، وساقها إلى أصحابه المنتظرين له وقد انتابهم القلق عليه لتأخره، فأخذوا يرفعون صيحاتهم وأصواتهم بالدعاء له والاستعاذة من قوى الشر، وهم يحثون الإبل على السير: (بن السلكة، 1994م)

وَبَاتُوا يَظُنُّونَ الظُّنُونَ وَصُحْبَتِي ... إذا مَا عَلَوْا نَشْزاً أهَلُّوا وَأَوْجَفُوا

وهذا تأبط شرًّا كذلك يصور أصدقاءه وهم عائدون من غزو قبيلة العوص وقد عادوا بالغنائم والأسلاب ممن قتلوهم: (تأبط شرًّا،1948م)

جزَى اللهُ فتيانا على العَوْصِ أشرقتْ ... سيوفُهمُ تحتَ العجاجةِ بالدَّمِ

فقد حملت هذه المغامرات صورة الأصدقاء وصفاتهم وكشفت عن أهميتهم، ولا سيما أن هذه المغامرات هي" الحرفة التي قامت علها حياتهم، والأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غايتهم، وهم يتحدثون عن هذه المغامرات حديث المؤمن بقيمتها في حياته، المعجب بها، الفخور ببطولته فيها، أو بمقدرته على النجاة من أخطارها، وقد ضاقت في وجهه سبل النجاة" (خليف، 1978م).

ومن الأمور الأخرى التي نجد فيها تصويرًا لمواقف الصداقة ومؤازرة الصديق أيضا مساعدة بعضهم بعضًا في المراقب التي كانوا يسهرون ليلًا عليها يتحصنون فيها ويحرسون بعضهم، ويراقبون أعداءهم، منتظرين فرصة مؤاتية للهجوم عليهم، وتكون هذه المراقب في الجبال والأماكن العالية كي يتمكنوا من كشف المكان ورؤية ما حولهم، فهذا أبو خراش الهذلي يصور لنا صديقًا له في مرقبة كانا بها، ويصور كيف كانا يراقبان المكان من تلك المرقبة المناسبة للغارات؛ فقد كانت في طرف أحد الجبال مشرفة على ما حولها، طريقها ذلق كحد الفأس يكثر سير الناس منها ومشيهم عبرها، وكان صاحبه هذا حذرا منتبها حريصا على صاحبه آثر أن يبقى معه في المرقبة يسهر الليل مستعدا للقتال متربصا للقوافل، يعيش حياة الصعاليك في سبيل تأمين عيشه وحياته، عازفًا عن تلك الحياة التي آثرها غيره من الضعفاء مع النساء والنوم والراحة والدفء، يظلُّ قابعًا في رأس تلك المرقبة كأنَّه السهم المبري: (شعراء هذليون، 1965م)

لستُ لمُرَّةَ إنْ لم أُوفِ مَرقَبةً ... يَبدو ليَ الحَرْفُ منها والمقاضِيبُ مِحْرَبُ

في ذات رَيْدٍ كذَلقْ الفَأْسِ مُشرِفةٍ ... طريقُها سَرَبٌ بالناس دُعْبوبُ

بصاحبٍ لا تُنالُ الدَّهرَ غِرَّتُه ... إذا افتَلَى الهَدَفَ القِنَّ المعازيبُ

بَعثتُه بسوادِ اللَّيلِ يَرقُبُني ... إذ آثرَ النومَ والدِّفءَ المَناجِيبُ

يَظَلُّ في رأسِها كأنّه زُلَمٌ ... من القِداحِ به ضَرْسٌ وتعقيبُ

(أُوفِ: أُشْرِف. الحرف من الجبل: أعلاه المحدد. والمقاضيب: الأرض تنبت النبات الرَّطب. الرَّيْد: الحرف الناتئ من الجبل. كذَلْق الفأس، كحدّ الفأس، دُعْبوب: موطوء، افتلى: فلاه من أهله عزله وفصله. الهدف: الثقيل من الرجال. القن: الذي أبوه عبد وأمه أمة، المعازيب: الإماءُ، الواحدة مِعْزَبَةٌ. المَناجِيب: الضعفاء الذين لا خير فيهم. زُلَم: قِدْح كثير الفوز: له علامة من عَقَبٍ وضرس. والضَّرْس: أن يُعَضّ حتى يؤثّر فيه) (شعراء هذليون، 1965م)

ويتابع في ذكر بعض صفاته التي يظهر فيها انتماؤه إلى أسرة الصعاليك، فهو إنسان سمح النفس على الرغم من نحوله الذي ظهر في قلة اللحم في يديه التي ظهرت أعصابها، وساقه التي بدا عظمها:

سَمْحٌ من القوم عُريانٌ أشاجِعهُ خَفَّ النَّواشُرُ منه والظَّنابِيبُ

(الأشاجع عَصَبُ ظاهرِ الكفِّ. النواشر: عصب ظهر الكف. الظَّنابيب: عظام الساق أو حرفها).

وهكذا صوَّر الشاعر شجاعة صديقه وجرأته وتيقظه، ونفسه الأبيَّة التي فضَّلت هذه الحياة بكرامة على حياة الراحة والنوم مع الذلّ والإهانة.

ومن أبرز الصور التي صورها الشعراء الصعاليك لأصدقائهم أيضًا صورتهم وهم يَعْدُون، فهذه صفة مهمة من صفات الصعاليك لها قيمتها في حياتهم، فسرعة العدو كثيرًا ما تنجيهم من الموت والهلاك، لأنَّ الغارة قائمة على الكرِّ والفرِّ والمراوغة للفرار والنجاة، وها هو ذا صخر الغي يصور سرعة عدو صديقه، بعد أن ذكر أنه صاحب شجاع كريم، ليس بنذل ولا جبان، وقد اعتاد على الغزو ومارسه مرة بعد مرة، فهذا الصاحب ترى سرعة عدوه عندما ينزل الأرض القفراء وقد رفعت ركبتاه من شدة عدوه ثوبَه الخلق البالي كعدو حمار ضامر البطن صغير السن يسرع هاربًا من الحمر التي عضّته وقد ظهرت آثار العض في ساقه: (شعراء هذليون، 1965م)

معي صاحبٌ داجنٌ بالغزاة ولمْ يكُ في القومِ وغْلًا ضَعيفا

تَرى عَدْوَهُ صَبْحَ إقوائهِ إذا رَفَعَ المأبِضَانِ الحَشِيْفا

كَعَدْوِ أقَبَّ رَبَاعٍ تَرَى بفائلِهِ ونَسَاه نُسُوْفا

(الوغل: النذل. الإقواء: النزول في القفر من الأرض. المأبضان: باطن الركبة وباطن المرفق. الحشيف: الثوب الخلق. الرَّبَاع: الذي ألقى رباعيته وهي السن التي بين التثنية والنَّاب. الفائل والنَّسا: عرقان. النُّسُوفُ: آثارُ العَضِّ. الأقب: الضامر البطن. (أبو سعيد السكري، د.ت)

ويصوِّر تأبط إعجابه بسرعة عدو أحد أصدقائه؛ واصفًا خفَّته وتشمّره وجدّه ويقظته، فمن حيث اعتمد في السير جاء سابقاً للريح بعدوٍ له واسعٍ من عَدْوه المتتابع المتلاحق: (تأبط شرًا، 1948م) و(المرزوقي، 2003م)

ويسبقُ وفدَ الرّيحِ مِنْ حيثُ ينتحي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ المُتَدَارِكِ

كما يصف أبو كبير الهذلي عَدْوَ تأبط شرًا وسرعته في قطع الطريق وتجاوزه، فإنَّك تراه من شدّة سرعته كأنَّه الصَّقر الذي يهوي على رؤوس الجبال: (شعراء هذليون، 1965م)

وإذا رَميتَ به الفِجاجَ رأيتَه يَنْضُو مَخارِمَها هُويَّ الأَجْدَلِ

(يَنْضُو: يقطَع ويَجوز. والمخَارم: أنوف الجبال، والأجدل: الصَّقْر)

فميزة سرعة العَدْو إذن من أبرز الأمور التي وصفوها وصوروها في أصدقائهم وفي أنفسهم كذلك "وهم يتحدثون عن هذه الميزة أيضا حديث المعجبين بها، المقدّرين لقيمتها في حياتهم" (خليف، 1978م)

وهكذا صوَّر الصعاليك أصدقاءهم الذين وجدوا فيهم معاني الصداقة الحقَّة التي تتوافق مع رؤيتهم ومفهومهم للحياة، فوقفوا عند بعض ملامحهم الجسدية كالنحول والهزال وبروز العظام والأضلاع، وقوة أرجلهم وسرعتهم في العدو، وشدة التحمل للسفر والمشقات، كما وصفوا ما يتميزون به من طبائع وأخلاق كالجرأة والإقدام والشجاعة وعفة النفس والصبر والتحلي بروح الجماعة والتفاني في سبيل الأصدقاء وتكاتفهم في الشدائد والإخلاص لمبدئهم في الحياة، كما أن هذا التصوير يعكس أثر الجماعات وأهميتها في تكوين الحكم والفعل؛ "وهذه العلاقات مهمة سواء من حيث تأثيرها المباشر على الأفعال اللاحقة أو كمصدر لنماذج السلوك" (لامبرت، 1998م)

ب- صورة الصديق السيّئ:

يحرص الصعاليك كما رأينا على الصديق الذي يستحق صداقتهم ووقوفهم معه، الصديق الذي يمدُّ يد العون لصاحبه ولا يضنُّ عليه بما ينبغي أن يقدمه له، وإلا فسوف يتخلص من تلك الصداقة البخيلة التي لا نوال يُرجى منها ولا عطاء، والتي لا يؤدي صاحبها ما تقتضيه من ودٍّ ومواصلة، كما صرَّح بذلك تأبط شرًا، مبينًا أن هذه الصداقة حريٌّ بها الهروب السريع وبذل الجهد في النجاة من مصائبها، مشبها هروبه من هذا الصديق ونجاته منه بهروبه يومًا من قبيلة بجيلة حين لم يسبقه في جريه وقتئذ إلا الحصان أو الطائر: (تأبط شرًا،1984م)

إني إذا خُلَّةٌ ضَنَّتْ بِنَائِلِها وأَمْسكَتْ بضعيفِ الوَصْلِ أَحْذَاقِ

نَجَوْتُ منها نَجائي مِنْ بَجِيلةَ إذْ أَلْقَيْتُ ليلةَ خَبْتِ الرَّهِطِ أرواقي

لا شيءَ أَسْرَعُ مني ليس ذا عُذَرٍ ... وذا جَناحٍ بِجنْبِ الرَّيْدِ خَفَّاقِ

(أحذاق: أي متقطع، (يشير إلى فراره من بجيلة في الموضع المسمى خبت الرهط، وألقيت أوراقي: أي جريت جريًا سريعًا، ذو العذر: هو الحصان. الريد أعلى جانب الجبل)

ونجد عروة بن الورد أيضا يصف إعراضه عن الصديق الذي لا يقبل نصيحة صديقه، بعد أن بذل جهده في نصحه وبعد تأديته واجب الصداقة تجاهه؛ فقد كان عينه التي ترشده وأذنه التي يسمع بها، ولكنه خرج عن جادة الصواب وتمادى في ضلاله، ولما أسدى له عروة النصيحة رفضها فما كان منه إلا أن هجره، ومثله فعلت المجموعة كلها، فالفرد وإن كان يتمتع بحريته في مجتمع الصعاليك، لكنه يبقى معلقا بروح الجماعة التي ينتمي إليها والرفاق الذين معه، وعليه أن يراعي ذلك ويراعي أصحابه وإلا تخلوا عنه كما فعل عروة: (ابن الورد، د.ت)

وخلّ كنتُ عينَ الرُّشدِ منهُ ... إذا نظرتْ، ومُسْتَمِعًا سَمِيعا

أطافَ بِغَيِّةٍ فنهيتُ عنها ... وقلتُ له أرى أمرًا فَظِيعا

أردتُ رشادَهُ جَهْدي فلمّا ... أبَى وعصى عصيناهُ جميعا

ويبدو أن نصيب عروة أيضا كان كبيرا من غدر الأصدقاء وقلة وفائهم وتنكرهم له؛ ولذلك نجد وصفه لغدرهم به وصدمته بذلك، والدرس الذي تعلمه إثر ذلك: (ابن الورد، د.ت)

أَأَيَّ النَّاسِ آمَنُ بَعْدَ بَلْجٍ ... وقُرَّةَ صَاحِبَيَّ بذِي طَلَالِ

ألمَّا أغزرتْ في العُسِّ بُرْكٌ ... ودَرْعَةُ بنتُها نسيَا فعالي

سَمِنَّ على الرَّبيع فهنَّ ضُبْطٌ ... لهنَّ لبالبٌ تحتَ السِّخالِ

(ذو طلال: اسم ماء، برك ودرعة: عنزان، أغزرت، حلبت حلبا. بُرْك ودَرْعة: عنزان، ضُبُط: أقوياء سمان ضخام، لبالب: حنين حول سخالها)

فأنّى لعروة أن يشعر بالأمان من جانب الأصدقاء بعد ما فعله هذان الصاحبان معه! فقد ساعدهما ووقف إلى جانبهما حتى حصلا على الأنعام، ولما ألبنت وسمنت وبدا خيرها لم يعطياه شيئا وتنكرا له ونسيا فضله عليهما.

ويصوِّر صخر الغي بطريقة غير مباشرة غدر أصدقائه به عندما تمنى أن يكون أصحابه من قوم آخرين غيرهم، قوم وجد فيهم صورة الصديق المؤازر له عند الشدة والأزمات، وذلك عندما وقع أسيرا عند بني المصطلق، واستبطأ أصحابه عن نصرته، فأنشأ يقول: (شعراء هذليون، 1965م)

لو أنّ أصحابي بنو معاويهْ ... أهلُ جُنوبِ نخلة الشآميهْ

ما تركوني للكلاب العاوِيهْ ... ولا لبِرذَونٍ أغرّ الناصيهْ

(البرذون) يُطلق على غير الْعَرَبِيّ من الْخَيل وَالْبِغَال من الفصيلة الخيلية عَظِيم الْخلقَة غليظ الْأَعْضَاء قوي الأرجل عَظِيم الحوافر، جمعه براذين. (مصطفى، 2004م)

إنه يتمنى أن يكون أصدقاؤه من بني معاوية وهم حي من هذيل؛ لأنهم ينصرون أصحابهم، ولو شهدوه في هذا المأزق ما تركوه حتى يصير هَدَرًا لهذه الكلاب النابحة، وهذه البراذين الضخمة الهجينة.

وتمنى في هذا الموقف أيضا أن يكون أصدقاؤه من بني خناعة، وهم قبيلة من هذيل أيضا؛ فهم الكرماء الأجواد والكماة الشجعان الجاهزون للقتال بسيوفهم وتروسهم، وهؤلاء الذين يقفون إلى جانبه وقت الشدة وينتصرون له من هؤلاء القوم قساة القلوب الذين لم يرحموه.

لو أنّ أصحابي بنو خُناعَهْ ... أهلُ النّدَي والجُودِ والبَراعهْ

الحامِلُو السّيوفِ والقَرّاعهْ ... لَمَنَعوا من هذه اليَراعهْ

(القَرّاعة: التّرس الصلاب. واليراعة: الضعيف. يريد به الرجل الذي ليس له قَلْب، كأنه قصب أجوَف) (شعراء هذليون، 1965م)

فهذه صورة الأصدقاء والأصحاب الذين تمنى صخر الغي أن يكونوا أصحابه، فالصاحب الحقيقي برأيه هو الذي يتصف بالنخوة والنجدة والكرم والجود والفروسية والإقدام والشجاعة.

2- صورة الصديق من غير الإنسان:

بحثَ الصعلوك عن صداقاتٍ أخرى خارج المجتمع البشري تعوّضه عما فقده من حياة الجماعة معهم، وتروي ظمأه الفطري في التواصل مع الآخر، صداقات يرى فيها صفات تنسجم مع شخصيته وحياته وطريقة عيشه؛ فصادق بعض حيوانات الصحراء ووحوشها التي شاركته العيش في فلواتها الواسعة وتحت سمائها، وصداقات أخرى يرى أنها تحقق له الحماية وتشعره بالأمان، كسلاحه وعتاده الذي يؤازره وقت الشدة وينصره على الأعداء، وقد صوَّر هؤلاء الأصدقاء ووصفهم وتحدث عن صداقاته معهم، وفيما يأتي نتحدث عن ذلك:

أ- الحيوانات ووحوش الصحراء:

إنَّ حياة التشرد التي يعيشها الصعاليك في مجاهل الصحراء الواسعة المليئة بالمخاوف ومظاهر الرعب والموت، وخاصة في ظلامها الدامس، جعلت حياتهم أقرب لحياة الوحوش التي ألفوها وانصرفوا إلى صحبتها بدلا عن البشر، بل ربما شعروا في القرب منهم بالراحة والأمان أكثر من قربهم من بني البشر، فقد ألفوا مظاهر الفلوات وقسوتها وتعلقوا بها، وصادقوا حيواناتها التي تقاسمهم هذه الحياة الشاقة الجافية، وهي ألفتهم أيضا ولم تعد تخشاهم أو تنفر منهم، وها هو ذا تأبط شرا يبين ذلك؛ فقد داوم على المبيت بمساكن الوحوش؛ لأن مجامع الإنس كرهته ولفظته، فألف القفار ولزم مرابع الوحش، حتى أنست به وسكنت إليه، وعدته واحداً منها، وصار هو أيضاً على مرور الزمان لا يحمي من أجلها مرعى، واعتادت هي عليه لطول صحبته إياها، فهو لا يخيفها ولا يرعها، وكادت تصافحه غفلة وعلانية إن دخل معهن الكُناس؛ لأن هدفه أمور أخرى همته مصروفةٌ إليها ومشغولةٌ بها، فلا يعنيه أن يصيدها أو يراقبها: (تأبط شرًا، 1984م)

يبيتُ بمغنى الوَحْشِ حَتَّى أَلفْنَهُ		وَيُصْبِحُ لَا يحمي لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَعا

على غِرَّة أَو جهرةٍ مِنْ مَكَانِسٍ		أَطَالَ نزالَ الْقَوْم حَتَّى تَسَعْسَعَا

رأينَ فتًى لا صيدَ وحشٍ يهمُّه		فلوْ صافحتْ إنسًا لصافحنَه معًا

وهذا الأحيمر السعدي أحد صعاليك العصر الأموي الذي يُلاحقه البشر من مكان لآخر للإيقاع به والانتقام منه لكثرة جناياته، يذكر أنه ترك أماكن البشر وابتعد عنها آلفا العيش في الفلوات وقفار الأرض؛ فقد كره صحبتهم وأصبح مبغضًا لهم بكل جوارحه، ولو سمع صوت أحدهم فإنَّ الخوف يتملكه من غدرهم فيكاد يطير رعبًا، في حين أنه لو سمع عواء لذئب لشعر بالأمان واستأنس بصوته، فحيوانات الصحراء هي أصدقاؤه الآن بدلا من البشر: (ابن قتيبة، 1966م)

عوى الذّئبُ فاستأنستُ بالذّئبِ إذ		وصوّتَ إنسانٌ فكدْتُ أطيرُ

رأى اللهُ أنّي للأنيسِ لشانِئٌ		وتبغضُهمْ لي مُقْلةٌ وضَمِيرُ

ومثله عبيد بن أيوب العنبري أحد صعاليك العصر الأموي أيضًا، (ابن قتيبة، 1966م) يبوح بخوفه من البشر، وقد أخذ الحيطة والحذر منهم لملاحقتهم له، فقد تملّكه الرعب منهم حتى أصبح يتوجس شرًا لو مَرت أمامه حمامة فيظنّها أحد أعدائه أو مجموعة تراقبه للنيل منه، وأخذ الشكُّ يساوره وينتابه في كلِّ البشر من حوله، حتّى الصَّديق صافي المودة لم يعد الشاعر يأمنه فاحتاط من غدره به، وحتَّى الأخبار التي تحمل الخير يظنها خديعة، وتلك الَّتي تحمل الشَّرَّ يشمّر لها ويتجهّز أيضا، فلا يرتاح في الحالتين، وهكذا فضّل الابتعاد عن البشر وبلادهم، وأصبح كوحوش الصحراء يأوي إلى الأماكن الخالية عازفًا عن تلك التي أقام بها البشر وتركوا آثار أقدامهم فيها: (البحتري، 2007م) و (الملوحي، 1992م)

لَقدْ خِفْتُ حَتَّى لَوْ تَمرُّ حَمَامَةٌ		لَقُلْتُ عَدُوٌّ أَوْ طَلِيعَةُ مَعْشَرِ

وَخِفْتُ خَلِيلِي ذَا الصَّفَاءِ وَرَابَنِي		وَقَالُوا فُلانٌ أَوْ فُلانَةُ فَاحْذَرِ

فَمَنْ قَالَ خَيْراً قُلْتُ هَذا خَدِيعَةٌ		وَمَنْ قَالَ شرًّا قُلْتُ نُصْحٌ فَشَمِّرِ

فَأَصْبَحْتُ كَالْوَحشِيِّ يَتْبَعُ ما خَلا		وَيَتْرُكُ مَوْطُوءَ الْبلادِ الْمُدعْثَرِ

أَرضٌ مُدَعْثَرَةٌ: مَوْطوءَةٌ. (الزبيدي، 2001م)

وبعضهم الآخر يخبرنا أنّ صداقته مع حيوانات الصحراء قد توطَّدت أكثر من ذلك، فالقتَّال الكلابيّ يزعمُ أنَّه رافق نمرًا في غار وألفه، ونشأت صداقة بينهما لكنه يختلف عن الإنسان في أنه لا يعرف لغة الكلام، فكان لا يسامره ولا يحدّثه، وإنما كان حديثهم صامتًا يفهمه من نظرة عينيه الحادّة،

ويذكر أنه أخذ يطاعمه ويؤاكله، فكان النمر يسمح للشاعر بمشاركته الطعام مما اصطاده، وتراه مطمئنًا منشغلًا بالأكل فلا خوف يمنعه ولا اضطراب ولا ذعر، فالثقة تغمره اتجاه صديقه البشري، وكانا يتقاسمان الشرب من نبع في الجبل دون أن يختلفا في ذلك، وكان كلٌّ منهما حريصًا على المحافظة على تلك الصحبة، ومنتبه على عواقب الخلاف، ويدرك صعوبة الإقدام على الآخر فلا يجد فيه مسوغًا له: (الكلابي، 1989م) و(عطوان، 1970م)

وَلِي صَاحِبٌ في الغارِ هَدَّك صَاحِبًا ... هو الجَوْنُ إلا أنّه لَا يعلّلُ

إذا مَا التَقَيْنا كانَ جلُّ حديثِنَا ... صُماتٌ وَطَرْفٌ كالمعابلِ أطْحَلُ

تَضَمّنَتِ الأَرْوَى لنا بِطعامِنا ... كلَانَا لهُ مِنْهَا نصيبٌ ومَأكلُ

فأغْلِبُهُ في صنعةِ الزّادِ إنّني ... أميطُ الأذى عنه ولا يتأمَّلُ

وكانتْ لنا قَلْتٌ بأرضٍ مَضِلّةٍ ... شَرِيعَتُنا لأيّنا جاءَ أوَّلُ

كِلانا عَدوٌ لو يَرى في عدوِّهِ ... مَحزًّا وُكُلٌّ بالعَدَاوةِ مُجْمِل

(هدَّك: كفاك، كقولك: حسبك. (ابن فارس، 1968م) وأبو الجون: كنية النَّمِر. المعابل: جمع مِعْبَلَةٌ؛ وهي النَّصل الطَّويل العريض. الأَطْحَلُ: لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل. الأروى: الأنثى من الوعول. القَلْت: النُّقرة في الجبل يستنقع فيها الماء) (الكلابي، 1989م)

وقد أولع عبيد بن أيوب العنبري ولعًا شديدًا بتصوير أصدقائه من غير البشر، وتصوير صحبته معهم ومرافقته لحيوانات الصحراء من ظباء وذئاب ووحوش أخرى، حتى صوَّر الغول والجنَّ وغيرها، وذكر صحبته لها ووصفها، وذكر مرارا أنه حالفها وحالفته: (الملوحي، 1992م)

وحالفتُ الوحوشَ وحالفتْني ... بقربِ عهودهنّ وبالبعادِ

فيصور صحبته للظباء في الفيافي قائلا: (الوقشي والبطليوسي، 1980م) و(الملوحي، 1992م)

وأرى ظباءَ الرَّملِ أحسنَ صُحبتي ... وأخفينَني إنْ كانَ يخفَى مَكانِيا

أكلتُ عروقَ الشَّرى معكنَّ والتوى ... بحلقي نور الفقد حتى ورانيا

فالظباء أحسن أصحابه، إنه يعيش بينهم في الصحراء وقد أخفينه عن عيون البشر التي تلاحقه، وقد شعر بالأمان بوجوده بينها، ولكن ذلك لم يكن سهلا، فقد اضطر لأكل ما تأكله الظباء من النباتات المرة كالحنظل، والقاسية أيضا كزهر نبات الفقد الذي كان يغصُّ به حتى يكاد يقتله ويخنقه. ويقول مصورًا صحبته مع الذئب أيضًا: (الملوحي، 1992م)

أراني وذئبَ القفرِ خِدْنَيْنِ بعدَما ... تدانا كِلانا يشمئزُّ ويذعرُ

إذا ما عَوَى جاوبتُ سجعَ عِوائهِ ... بترنيمِ محزونٍ يموتُ ويُنْشرُ

تَذَلَّلْتُهُ حتَّى دَنا وأَلِفتُهُ ... وأمكنَني لو أنَّني كنتُ أغدرُ

ولكنَّني لمْ يأتمِنّي صاحبٌ ... فيرتابَ بي ما دامَ لا يتغيَّرُ

فقد صور صحبتهما معا وكيف أصبحا صديقين بعد أن ألفا بعضهما، وكيف كان الشاعر يجيب نغمات عوائه بترانيمه الحزينة التي تعبر عن ألمه ومعاناته، وكيف جعله يكسب ثقته حتى ألفه واقترب منه، فلم يغدر به الشاعر على الرغم من أنه لو أراد ذلك لفعل، ولكنه يأبى الغدر وخاصة مع من يخلص له ولا يتغير عليه.

كما صوَّر في القصيدة نفسها مصاحبته للغول والألفة التي نشأت بينهما وتقربه منها بعد الخوف، وذكر أنه سمع صوتها وهي تتلون، وأنها كانت ترسل من عينها شعل النار، لترعبه وتخيفه، حتى تنقضّ عليه:

ولله درُّ الغولِ أيُّ رفيقةٍ ... لصاحبِ قفرٍ خائفٍ يتقترُ

تغنَّتْ بلحنٍ بعدَ لحنٍ وأوقدتْ حواليَّ نيراناً تبوخُ وتزهرُ

أنستُ لها لمَّا بدتْ وألفتُها وحتّى دنتْ واللهُ بالغيبِ أبصرُ

فلمّا رأت ألاّ أهالَ وأنّني وقورٌ إذا طارَ الجِنانُ المطيرُ

دنتْ بعدَ ذاكَ الروعُ حتّى ألفتُها وصافيتُها واللهُ بالغيبِ أخبرُ

ولم يكتف بصحبة الحيوانات والغيلان في الفلوات والصحاري وإنما صاحب الجن أيضا ورافقها في أثناء تنحيه عن البشر في القفار: (الملوحي، 1992م)

أَخُو فلواتٍ صَاحبَ الجنّ وَانتحى مِنَ الأنسِ حَتَّى قَدْ تَقَضَّتْ وسائلُهُ

وهذا ما كان من أمر الشنفرى أيضًا، وتركه لقومه؛ وصحبته لقوم سواهم، يفضلهم عليهم، وقد ألفهم وألفوه، وهم ذئب خبيث، ونمر أملس مرقّط، وضبع ذات عرف: (الشنفرى، 1996م)

ولِي دونَكم أهلونَ سيدٌ عملَسُ وأرقَطُ زُهلوُلُ وعَرَفاءُ جَيألُ

همُ الأهلُ لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذَلُ

ولم يصفهم بالأهل إلا لمكانتهم في حياته، وليبين لقومه أنهم أفضل منهم، وأنهم أكثر وفاء وإخلاصا منهم، وأن وحوش الصحراء أبت أن تفعل به ما آذوه به، فهم أحقُّ باسم الأهل فإن استودعهم سرًّا حفظوه، وإن جنى جناية على أحد لم يخذلوه ويسلموه له لينتقموا منه، فهؤلاء الوحوش فيهم من الصفات الحميدة ما يفتقده كثير من البشر؛ ولذلك آثر الشنفرى وغيره من الصعاليك صداقتهم وصحبتهم عن كثير من الناس الذين لم يروا منهم إلا الغدر والخذلان.

ولا يخفى على ذي لبٍّ ما يخالط شعر بعض هؤلاء الشعراء من الاختراع والمبالغة الأسطورية والإغراق في الخيال، وقد علَّق على ذلك الجاحظ بقوله: "وإذا استوحش الإنسان تمثّل له الشّيء الصغير في صورة الكبير، وارتاب، وتفرّق ذهنه، وانتفضت أخلاطه، فرأى ما لا يُرى، وسمع ما لا يُسمع، وتوهَّم على الشيء اليسير الحقير، أنه عظيم جليل" (الجاحظ، 1967م)

ب_ السِّلاح:

للسلاح أهمية كبرى في حياة الجاهليين عامة، وتزداد هذه الأهمية عند الصعاليك الذين قامت حياتهم على الغزو والمغامرة، فسلاحهم يعادل روحهم، ولا يمكنهم أن يتركوه أو يتخلوا عنه، أو يتهاونوا في وجوده معهم دائما، فهم حريصون كلَّ الحرص أن يظهروا بمظهر الأقوياء الأشداء وخاصة أمام أعدائهم حتّى يبثّوا الرعب في نفوسهم، ويخافوا جانبهم، ولا يتجرؤوا عليهم؛ ونرى هذا التشبث بالسلاح واضحا في أشعارهم، وهم يدركون القوة التي يصبحون عليها مع وجود سلاحهم معهم، وهذا ما عبّر عنه الأعلم الهذلي عندما قال: (شعراء هذليون، 1965م)

مَتى مَا تَلْقَني ومَعي سِلاحِي تُلاقِ المَوْتَ لَيْس لَهُ عَدِيلُ

فملاقاة العدو له وهو مع سلاحه تساوي لقاء الموت الذي لا يعدل شدّته شدّة. وهذا ما يؤكده صخر الغيّ عندما وصف سلاحه الذي سيحميه من أعدائه قائلا: (شعراء هذليون، 1965م)

إنّي سيَنهَى عنّي وَعيدَهمُ بِيضٌ رِهابٌ ومُجْنأٌ أُجُدُ

وصارمٌ أُخلِصتْ خَشيبتُه أبيضُ مَهوٌ في مَتنِه رُبَدُ

فَلَيتُ عنه سيوفَ أريَحَ حتّى باء بكفّي ولم أَكَدْ أَجِدُ

وسَمْحةٌ من قِسيّ زارةَ صَفرا ءُ هَتوفٌ عِدادُها غَرِدُ

كأنّ إرنانَها إذا رُدِمتْ هَزْمُ بُغاةٍ في إثرِ ما فَقَدوا

ذلك بَزّي فلن أُفَرِطه أخافُ أن يُنجزوا الّذي وَعَدوا

(بيض رِهاب، أي سهام مرهَفة رقاق. ومُجنأ: تُرْس محدودب. أُجُد: شديد صُلب. في مَتْنِه رُبَد، أي لُمَع. والخَشِيب: الصَّقِيل. وأَرْيَحَ: قرية بالشام يقال لها أَريحاء. سَمْحة: سهلة. وزارة: من أَسْدِ السَّراة. وعدادُها صوتُها. وغَرد: بعيد الصوت) (شعراء هذليون،1965م)

فالشاعر يصور لنا أهمية سلاحه في حياته؛ فأعداؤه لن ينجزوا وعيدهم وتهديدهم ولن يستطيعوا قتله بفضل سلاحه الذي سيحميه منهم، والذي يتكون من سهام مرهفة رقاق وترس صلب شديد، وسيف قاطع رقيق فرند لامع لا تجد له نظيرا فقد بحث عنه واختاره عن بقية السيوف لما تميَّز به، فضربته تقطع أقسى العظام وتكسرها، ومعه كذلك قوس مواتية سهلة من أفضل الأقواس، لوترها صوت عالٍ يشبه صوت عدَّائين يركضون باحثين عن شيء فقدوه وضلَّ عنهم، هذا سلاح الشاعر وعدته التي لن يفرط فيها؛ لأنَّ تفريطه فيها يعني أنه أعطى الفرصة لأعدائه للإيقاع به والتمكن منه وإنجاز تهديهم له، وهكذا يكون السلاح عند الصعاليك حاميًا لحياتهم ومحافظًا عليها، ولا غرابة أن نجد له كل هذه المكانة عندهم، حتى إن الشاعر استخدم كلمة (أخاف) في حال كان خلوًا من السلاح، فالسلاح يمنع عنه الخوف ويشعره بالقوة أمام أعدائه.

ونجد الشنفرى أيضا يتحدث عن أصحابه الذين يعوّل عليهم في حياته من غير البشر، وهم قلبه الشجاع وأسلحته التي يستغني بصحبتها عن صحبة الأشخاص الذين لا فائدة ترجى بقربهم، فيقول: (الشنفرى، 1996م)

وإنِّي كَفاني فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِياً   بِنُعْمَى ولَا فِي قُرْبِه مُتَعلَّلُ

ثَلاثَةُ أَصحاب فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ   وأَبْيَضُ إصْلِيتٌ وصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

فأصحابه إذن ثلاثة: قلبه الشجاع الجريء الذي قُدَّ من صخر حتى كأنما أحيط بمجموعة من الأنصار، وسيفه الصقيل الماضي وقوسه الطويلة العنق، وقد سمَّاهم بالأصحاب لما بينه وبينهم من ملازمة وألفة ونصرة، فهم يغنونه وقت الشدة والقتال عن أصدقائه من البشر؛ لأنهم يقومون مقامهم في دفع المكروه والموت عنه، وفي إنقاذ حياته والحفاظ عليها، ونراه يتابع مفصِّلًا في صورة القوس خاصة:

هَتُوفٌ من المُلْسِ المتُونِ يَزِيُّهَا   رَصَائِعُ قد نِيطَتْ إليها ومِحْمَلُ

إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنَّت كَأَنَّهَا   مُرَزَّأَةٌ ثكْلَى ترِنُّ وتُعْوِلُ

فالشاعر يصور صوتها الذي يرنُّ عند إطلاق السهم واندفاعه الشديد منها إلى الفضاء، كما يصوّر شكلها الأملس الذي يجعلها تريح حاملها في الرمي، كما أنها جميلة مزينة مرصعة بالحلقات المستديرة، ولها محمل تعلق منها يسهل اقتناءها وحملها، وهذا يعني أنها قوس متكاملة شكلًا وأداء تقوم بمهمتها أفضل قيام. ويركز الشاعر في تصوير صوتها ورنينها عند انطلاق السهم منها، فيشبه الصوت الصادر منها بصوت المرأة الثكلى الواله التي فقدت رضيعها وتبكي عليه بأصوات مليئة بالحنين والتفجع. إن هذا الوصف الدقيق للقوس، وإضفاء السمات الإنسانية عليها ينبئ بأهميتها في حياة الشاعر، فكأنها تارة تلك المحبوبة التي يعشقها فأخذ يصورها بدقة مبرزا صفاتها الجميلة التي نالت إعجابه. وتارة الأم الثكلى الحنون، ولا عجب في ذلك فهي صديقته الملازمة له، والتي ارتبطت حياته بها.

وها هو ذا عبيد بن أيوب يذكر صداقته لسلاحه ويبيِّن تعلّقه به، فيصف قوسه التي صاحبها، مفصِّلا في لونها وقوتها وصلابتها ووترها وصوتها، فلونها أصفر براق، وقد صنعت من شجر النبع، وهو من أفضل الشجر لصنع القسي، ولها وتر رنان شديد الحركة، وأما سهامها التي تنطلق منها، فقد كانت صلبة لم تنكسر ولم تفلّل: (الملوحي، 1992م)

أَلَمْ تَرَنِي صاحبت صَفْرَاءَ نَبْعَةً   لَهَا رَبَذِيٌّ لَمْ تُفلَّلْ مَعَابِلُهْ

وأما سيفه فقد لازمه وصاحبه صحبة طويلة:

وَطَالَ احْتِضَانِي السَّيْفَ حَتَّى كَأَنَّما   يُلَاطُ بِكَشْحِي جَفْنُهُ وحَمَائِلُهْ

فنجده قد عبَّر عن تلك الصداقة بلفظ الاحتضان، وهذا يدل على المودة والمحبة التي يحملها له، وعلى مكانته في نفسه وملازمته له، وهذا الاحتضان طويل وليس مؤقتًا، فقد أوشك أن يكون دائمًا، حتى كأنما غمد السيف ومحمله التصقا بخصره.

ويذكر بعض الشعراء الصعاليك أشياء أخرى ألفوها في حياتهم، فكانت بمنزلة الصاحب لهم وقد اعتادوا على وجودها في حياة الصعلكة، كالشنفرى الذي يذكر أنه ارتاض المشقات حتى ألفها فلم يعد يجد لها كبير ألم، فقد ألف النوم بجسده الهزيل الضعيف الذي برزت عظامه اليابسة على وجه الأرض ولا سَادَة لَهُ إِلَّا ذراعه، كما ألف أيضا الهموم الثقيلة التي تعاوده يوميا، وتأتيه من كل صوب، وحالف الصبر حتى أصبح وليه وصاحبه، وكأنه يلبس سلاحه وفيه قلبه الذي يشبه بقوته وجرأته قوة ولد الذئب الذي ولدته الضبع فجاء أشد قوة وجرأة: (الشنفرى، 1996م)

وآلفُ وجهَ الأرضِ عند افتراشِها بأهدأَ تُنْبِيهِ سَناسِنُ قُحَّلُ
وإلفُ همومٍ ما تزالُ تعودُهُ عِياداً كَحُمّى الرِّبْعِ أو هِيَ أثقلُ
إذا وردتْ أصدرتُها ثمَّ إنَّها تثوبُ وتأتي مِنْ تحيتُ ومِنْ عَلُ
فإنّي لمولَى الصَّبرِ أجتابُ بزَّهُ على مثلِ قلبِ السِّمْعِ والحَزمَ أفعلُ

(تنبيه: تجفيه وترفعه، السَّناسنُ: رؤوس الأضلاع وهي هنا حرف فقار الظهر، والقحل: جمع قاحل: وهو اليابس. الرِّبع في الحمى، أن تأخذ يومًا وتدع يومين ثم تجيء في اليوم الرابع. والسِّمْع: ولد الذئب من الضبع، وهو أخبث حيوان يضرب به المثل في شدة العدو، وفي شدة السَّمْع)

وهكذا صوَّر هؤلاء الشعراء صداقاتهم مع أسلحتهم وعتادهم، وغيرها من الأمور التي لازمتهم في حياتهم وأصبحت كالصاحب الملازم لهم لا يمكنهم تركها والعيش دونها، فهي جزء من حياة الصعلكة التي انتهجوها وكانت شعارًا لهم وخلدوها في أشعارهم؛ فـ"الشاعر صانع قصائد، ومضمون قصائده هو حصيلة نظرته في الحياة" (أوليك، آون، 1992م).

الخاتمة:

ونجمل في ختام البحث أبرز النتائج التي توصل إليها:

- كان للصديق أهمية كبرى في حياة الشاعر الصعلوك في الجاهلية، وقد استمرت إلى العصر الأموي لتشابه حياة اللّصوص والصعاليك في تلك العصور، وقد ظهرت تلك الأهمية في تصويرهم له ووصفه في شعرهم وحديثهم الثري عنه.
- تنوعت صداقات الشاعر الصعلوك ما بين صداقات كان يعقدها مع أصدقائه من مجتمع الصعاليك، وأخرى كانت مع الحيوانات ووحوش الصحراء والأسلحة والعتاد.
- صوّر الشاعر الصعلوك أصدقاءه من البشر، فوصف الصديق النموذجي الذي يشكِّل جزءًا من هويته الشخصية، والهوية المشتركة مع الصعاليك؛ فتحدث عن صفاته الجسمانية كالهزال والنحول وسرعة العدو، والتمرس بالصعاب والقدرة على الأسفار، كما أشاد بسماته الخُلقية كالعفة والشجاعة والجرأة والتعاون من الأصدقاء، والإخلاص لمبدأ الصعلكة. كما صوَّر الصديق السيّء الذي يأنف من صداقته، وكان من أبرز سماته الغدر والخيانة.
- تحدث الشاعر الصعلوك عن صداقات أخرى نشأت في حياته مع غير البشر، ألجأته إليها حياة الصعلكة كصداقة الحيوانات ووحوش الصحراء وصداقة السلاح؛ فصوّر أصدقاءه منهم؛ فوصف الغزال والذئب والنمر، كما صور الجن والغول، وذكر مشاهد من حياته معها في الصحراء لا تخلو من المبالغة والإغراق في الخيال عند بعضهم.
- وصوّر صداقته مع أسلحته التي ارتبطت حياته بها، وتوطدت علاقته فيها لحاجته لها في الغارات أو في الدفاع عن النفس، وكان من أبرزها السيف والقوس، فقد وصفهما وصفا شكليا دقيقا ينمُّ عن تعلّق نفسي عميق بهما.
- عكس تصوير الشعراء الصعاليك لأصدقائهم على اختلاف أنواعهم ما في نفوسهم من تمسك بقيمة الصداقة، وما تشكله في حياتهم، كما عكس تصويرهم لغير الإنسان منهم توقهم للأصدقاء في الوحشة التي عاشوها والغربة التي عانوها حتى أصبحت الحيوانات والوحوش والأسلحة أصدقاء وجدوا فيها العوض عن المجتمع الذي ظلمهم وقهرهم.
- حمل هذا التصوير للصديق جزءا من نظرتهم للحياة ومن آرائهم فيها وانعكس فيه فكرهم وعاطفتهم وانفعالاتهم ومشاعرهم تجاه الإنسان والمجتمع والكون من حولهم.

المصادروالمراجع

الأصفهاني، ع. (2008). *الأغاني*. لبنان: دار صادر.

البحتري، م. (2007). *الحماسة*. الإمارات العربية المتحدة: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

البطليوسي، ع. (1996). *الاقتضاب في شرح أدب الكتاب*. القاهرة: دار الكتب المصرية.

البكري، ع. (1995). *سمط اللآلي في شرح أمالي القالي*. بيروت: دار الكتب العلمية.

تأبط شرًا، ج. (1984). *ديوان تأبط شرًا وأخباره*. (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الجاحظ، ع. (1967). *الحيوان*. مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الجوهري، إ. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. (ط4). بيروت: دار العلم للملايين.

الحميري، ن. (1948). *الحور العين*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

خليف، ي. (1978). *الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي*. (ط3). مصر: دار المعارف.

ابن رفاعة، ز. (2011). *الأمثال*. (ط1). دمشق: دار سعد الدين.

الزبيدي، م. (2001). *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

سركيس، ح. (1979). *مدخل إلى الأدب الجاهلي*. (ط1). بيروت: دار الطليعة.

السكري، ع. (د.ت). شرح أشعار الهذليين. القاهرة: مطبعة المدني.

ابن السّلكة، س. (1994). *ديوان السليك بن السلكة*. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن سيده، ع. (2000). *المحكم والمحيط الأعظم*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سيده، ع. (1996). *المخصص*. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السيوطي، ع. (1998). المزهر في علوم اللغة. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

شعراء هذليون. (1965). مصر: الدار القومية للطباعة والنشر.

الشنفرى، ع. (1996). *ديوان الشنفرى*. ط2. بيروت: دار الكتاب العربي.

الصحاري، س. (1999). *الإبانة في اللغة العربية*. (ط1). سلطنة عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة.

ضيف، ش. (1960). *الأدب في العصر الجاهلي*،. مصر: دار المعارف.

عطوان، ح. (1970). *الشعراء الصعاليك في العصر الأموي*. (ط1). مصر: دار المعارف.

علي، ج. (2001). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. (ط4). بيروت: دار الساقي.

ابن فارس، أ. (1968). *مجمل اللغة*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن فارس، أ. (1979). *مقاييس اللغة*. دار الفكر.

الفراهيدي، خ. (د.ت). *كتاب العين*. مصر: دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي، م. (2005). *القاموس المحيط*. (ط8). بيروت: مؤسسة الرسالة.

القالي، إ. (1975). *البارع في اللغة*. (ط1). بغداد: مكتبة النهضة.

ابن قتيبة، ع. (1966). الشعر والشعراء. القاهرة: دار المعارف.

.771/2

الكفوي، أ. (1998). *الكليات*. (ط2). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الكلابي، ع. (1989). *ديوان القتال الكلابي*. بيروت: دار الثقافة.

لامبرت، و. (1998). *علم النفس الاجتماعي*. (ط1). القاهرة: دار الشروق.

المرزوقي، أ. (2003). *شرح ديوان الحماسة*. بيروت: دار الكتب العلمية.

مروة، ح. (2008). *النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، الجاهلية نشأة وصدر الإسلام*. (ط2). بيروت: دار الفارابي.

مصطفى، إ.، وآخرون. (2004). *المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة*. (ط4). مصر: مكتبة الشروق الدولية.

الملوحي، ع. (1992). *أشعار اللصوص وأخبارهم*. (ط2). بيروت: دار الحضارة الجديدة.

ابن منظور، م. (1993). *لسان العرب*. (ط3). بيروت: دار صادر.

الهروي، أ. (1999). *الغريبين في القرآن والحديث*. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.

ابن الورد، ع. (د.ت). *ديوان عروة بن الورد*. دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

الوقشي، هـ.، والبطليوسي، ع. (1980). *القرط على الكامل*. باكستان: جامعة بنجاب.

وليك. ر.، وآرن، آ. (1992). *نظرية الأدب*. المملكة العربية السعودية: دار المريخ.

References

Al-Asfahani, A. (2008). *Al-Agani*. Lebanon: Dar Sader.

Al-Buhturi, M. (2007). *Al-Hamasa*. United Arab Emirates: Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage.

Al-Battalusi, A. (1996). *Al-Iqtitab fi Sharh Adab al-Kitab*. Cairo: Egyptian Book House.

Al-Bakri, A. (1995). *Samt al-Lali fi Sharh Amali al-Qali*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Ta'abbata Sharran, J. (1984). *Diwan Ta'abbata Sharran and His Stories*. (1st ed.). Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.

Al-Jahiz, A. (1967). *Al-Hayawan*. (2nd ed.). Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Press.

Al-Jawhari, I. (1987). *Al-Sihah Taj al-Lugha wa Sihah al-Arabiyya*. (4th ed.). Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalayin.

Al-Himyari, N. (1948). *Al-Hur al-Ain*. Cairo: Khanji Library.

Khalif, Y. (1978). *Poets of Saalik in the Pre-Islamic Era*. (3rd ed.). Fgypt: Dar al-Ma'arif.

Ibn Rifa'a, Z. (2011). *Al-Amthal*. (1st ed.). Damascus: Dar Saad Al-Din.

Al-Zabidi, M. (2001). *Taj al-Arous min Jawahir al-Qamus*. Kuwait: National Council for Culture, Arts, and Literature.

Sarkis, H. (1979). *Introduction to Pre-Islamic Literature*. (1st ed.). Beirut: Dar Al-Talia.

Al-Sukkari, A. (n.d.). *Sharh Ash'ar al-Hudhaliyyin*. Cairo: Madani Press.

Ibn al-Silkah, S. (1994). *Diwan al-Salik ibn al-Silkah*. (1st ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.

Ibn Sayedah, A. (2000). *Al-Muhkam wal-Muhit al-A'zam*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Ibn Sayedah, A. (1996). *Al-Mukhassas*. (1st ed.). Beirut: Dar Ihyaa al-Turath al-Arabi.

Al-Suyuti, A. (1998). *Al-Muzhir fi Ulum al-Lugha*. (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Hudhayli Poets. (1965). Egypt: National Publishing and Printing House.

Al-Shanfara, A. (1996). *Diwan Al-Shanfara*. (2nd ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.

Al-Sahhari, S. (1999). *Al-Ibana fi al-Lugha al-Arabiyya*. (1st ed.). Oman: Ministry of National Heritage and Culture.

Dayf, S. (1960). *Literature in the Pre-Islamic Era*. Egypt: Dar al-Ma'arif.

Atuwn, H. (1970). *Saalik Poets in the Umayyad Era*. (1st ed.). Egypt: Dar al-Ma'arif.

Ali, J. (2001). *Al-Mufassal fi Tarikh al-Arab Qabl al-Islam*. (4th ed.). Beirut: Dar Al-Saqi.

Ibn Faris, A. (1968). *Majmal al-Lugha*. Beirut: Al-Risalah Foundation.

Ibn Faris, A. (1979). *Maqayis al-Lugha*. Dar al-Fikr.

Al-Farahidi, K. (n.d.). *Kitab al-Ain*. Egypt: Dar wa Maktabat al-Hilal.

Al-Firuzabadi, M. (2005). *Al-Qamus al-Muhit*. (8th ed.). Beirut: Al-Risalah Foundation.

Al-Qali, I. (1975). *Al-Bari' fi al-Lugha*. (1st ed.). Baghdad: Al-Nahda Library.

Ibn Qutayba, A. (1966). *Al-Shi'r wa al-Shu'ara*. Cairo: Dar al-Ma'arif.

Al-Kafawi, A. (1998). *Al-Kulliyat*. (2nd ed.). Beirut: Al-Risalah Foundation.

Al-Kallabi, A. (1989). *Diwan Al-Qittal Al-Kallabi*. Beirut: Dar al-Thaqafa.

Lambert, W. (1998). *Social Psychology*. (1st ed.). Cairo: Dar al-Shorouk.

Al-Marzuqi, A. (2003). *Sharh Diwan al-Hamasa*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Marwa, H. (2008). *Materialistic Trends in Arab-Islamic Philosophy, Pre-Islamic, Early Islam*. (2nd ed.). Beirut: Dar al-Farabi.

Mustafa, I., et al. (2004). *Al-Mu'jam al-Wasit*. (4th ed.). Cairo: International Bookshop for Publishing and Distribution.

Al-Mallouhi, A. (1992). *Ash'ar al-Lusuus wa Akhbaruhum*. (1st ed.). Beirut: Dar al-Hadara al-Jadida.

Ibn Manzur, M. (1993). *Lisan al-Arab*. (3rd ed.). Beirut: Dar Sader, Beirut. Linguistic Materials.

Al-Harawi, A. (1999). *Al-Gharibayn fi al-Quran wal-Hadith*. Saudi Arabia: Nizar Mustafa al-Baz Library.

Ibn al-Ward, A. (n.d.). *Diwan 'Urwah ibn al-Ward, edited by Ibn al-Sikkit*. Damascus: Ministry of Culture and National Guidance.

Al-Waqshi, H., & Al-Battalusi, A. (1980). *Al-Qirt ala al-Kamil*. Pakistan: Punjab University.

Wellek, R., & Warren, A. (1992). *Theory of Literature*. Saudi Arabia: Dar Al-Mareekh.